جامعة المنصورة
كليـة الآداب

تقنيات السرد السير ذاتي
في رحلة ابن العربي ت ٥٤٣هـ
" ترتيب الرحلة للترغيب في الملة "

إعـــداد
د/ إسلام ربيع عطية
مدرس بقسم اللغة العربية
بكلية الآداب – جامعة دمياط

مجـلة كلـية الآداب – جامعـة المنصـورة
العدد السبعون – يناير ٢٠٢٢

تقنيات السرد السير ذاتي في رحلة ابن العربي ت ٥٤٣هـ
" ترتيب الرحلة للترغيب في الملة "

د/ إسلام ربيع عطية
مدرس بقسم اللغة العربية
بكلية الآداب – جامعة دمياط

ملخص البحث

هذه الدراسة الموسومة بـ " تقنيات السرد السير ذاتي في رحلة ابن العربي ت٥٤٣هـ ترتيب الرحلة للترغيب في الملة " تتمحور حول تقنيات السرد وأبعاده التي تتسم بها السيرة العلمية لابن العربي التي ضمنها رحلته، وسجل فيها تجربته الصادقة التي عاشها في بلده وخارجها، متصلة بالأحداث العامة، منعكسةً عنها ومتأثرةً بها، وتتبع فيها مراحل حياته، وانتقاله من بلد إلى بلد في سبيل تحصل العلم؛ لتحقيق الغاية التي يصبو إليها، وهي معرفة الله. وقد توافر لهذه الرحلة من الشروط ما جعلها أقرب إلى السيرة الذاتية في الأدب الحديث، ومن هذه الشروط: التطابق بين السارد والمؤلف، فضلاً عن أن الشخصية صاحبة السيرة ذات مكانة علمية حافلة بالأحداث المثيرة والمتواصلة، وكذلك الميثاق السير ذاتي الذي يربط مؤلف السيرة الذاتية وسيرته بالمتلقين، ذلك الميثاق الذي استهل به ابن العربي رحلته، فضلاً عن أن هذه الرحلة تم بناؤها بناء محكماً متكاملاً متسلسلاً قائماً على التدرج والنمو والتطور الذي يتوافق مع مراحل حياة ابن العربي، مما جعلها قصة أو حكاية تعتمد على السرد.

واتخذت هذه الدراسة من تعريف فيليب لوجون للسيرة الذاتية منطلقاً نظرياً تتكئ عليه، فوقفت عند العتبات النصية التي تعُد مفتاحاً مهماً للكشف عن فنية النص، مثل: العنوان، والمؤلّف، والميثاق السير ذاتي أو دوافع الكتابة، ثم انطلقت الدراسة نحو البحث في تقنيات السرد التي اتسمت بها سيرة ابن العربي، ومنها: التطابق بين المؤلف والسارد، والاسترجا ع الزمني، الوصف، والحوار.

وقد أسلمتنا الدراسة إلى المنهج الوصفي التحليلي؛ ليتسع فيحتضن كل ما يمكن أن يفتح النص السردي، ويستنطق جمالياته: السيميائية والأسلوبية، وهذا ما تطلبه موضوع البحث.

الكلمات المفتاحية:*السيرة الذاتية، السرد ، أدب الرحلة، ابن العربي، النثر الأندلسي*

Abctract :

This study, entitled "Biographical Narration Techniques in the journey of Ibn al-Arabi, died 543 AH, 'Arranging the Journey to Encourage Religious Faith'", revolves around the narration techniques and dimensions that characterize the scientific autobiography of Ibn al-Arabi, in which he talked about his journey, in which he recorded his honest experience in his country and abroad, and relevant public events that affected his experience and were reflected through it. In his autobiography, he tracked the stages of his life and his movement from country to country in order to acquire knowledge, in order to achieve the goal he aspires to, which is the knowledge of God. This journey met some conditions that made it closer to an autobiography in modern literature, and among these conditions: the congruence between the narrator and the author, in addition to the fact that the author of the biography has a scientific status that is full of exciting and continuous events, as well as the autobiographical charter that links the author of the autobiography and his autobiography to recipients. Ibn al-Arabi began his journey with that charter. In addition to that, this journey was built in an integrated, sequential structure based on gradation, growth and development that corresponds to the stages of Ibn al-Arabi's life, which made it a story or tale based on the narration.

This study looks at Philip Lejeune's definition of the autobiography as a theoretical premise to lean on. It takes into consideration the textual pillars, which are an important key to revealing the technicality of the text, such as: the title, the author, and the autobiographical charter or the motives for writing. Then the study sets out to investigate the narration techniques that characterized Ibn al-Arabi's autobiography, including: congruence between the author and the narrator, retrospective, description, and dialogue.

The study follows the descriptive-analytical approach, which expands to include all that can help clarify the narrative text, and highlight its aesthetics: semiotics and stylistics, and this is what the research topic requires.

Key words:Autobiography, narration, journey literature, Ibn al-Arabi, Andalusian Prose.

مقدمــة:

الحمد لله هادي الأدباء ومعلم الفصحاء والبلغاء، والصلاة والسلام على محمد –صلى الله عليه وسلم– رسول الله وخاتم الأنبياء، وعلى آله المطهرين النجباء، وبعد

فإن السيرة الذاتية تعد نمطاً من أنماط الأجناس الأدبية الإبداعية الإنسانية، فهي أشد

لصوقاً بالإنسان، وتمثل إضاءة على تجارب في مسيرة حياة كاتبها، ووعاءً فنياً يجمع فيه ما يختار البوح والتصريح به من منجزه الإبداعي خاصة والحياتي عامة، فمؤلفها ينشر حياته ليعرِّف الآخرين بنفسه، فهي إذن مهمة شاقة تستدعي من الكاتب أن يرجع إلى الوراء ويسترجع الوقائع والأحداث وينتقي منها ويستبعد.

وكتابة السيرة الذاتية تعد أقرب الكتابات الأدبية إلى الواقع الحقيقي للحياة، فهي سجل حافل وثريٌّ يؤرخ للزمان والمكان والإنسان، ويحفظ كثيراً من الحقائق. ولا شك في أن كتابة السيرة الذاتية ليست جديدةً على المعرفة الإنسانية، فهي تسير جنباً إلى جنب مع جميع أنواع المعرفة، وترافق سيرة المبدعين والكتاب في مختلف الأزمنة والأمكنة.

وقد استطاعت السيرة الذاتية أن تمارس حضورها في العديد من الأجناس الأدبية، فتداخلت مع فن الرسائل، والرحلات، والحكاية الشعبية، والرواية... وهذا الانفتاح على الأجناس الأدبية سلاح ذو حدَّين، فهو يثري الجنس الأدبي من جهة، وفي الوقت نفسه قد يشكل خطراً عليه من ناحية التجنيس.

وقد تعددت تعريفات السيرة الذاتية، وربما يكون **فيليب لوجون** من أكثر الباحثين تحرياً للدقة في صياغة تعريف للسيرة الذاتية، حيث عرفها قائلاً: " حكي استعادي نثري، يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة"[١].

هذا التعريف ربما يسمح لنا بإزالة الحدود التي تفصل بين الأشكال المختلفة لكتابة الذات عن نفسها، مثل: المذكرات، واليوميات، والاعترافات[٢]... ويسمح لنا بالنظر إليها جميعاً بوصفها نصوصاً سردية- في المقام الأول- تستخدم استراتيجيات نصية مختلفة، وبناءً على ذلك تتوجه مهمة القارئ نحو قراءة تلك الاستراتيجيات.

---

[١] السيرة الذاتية " الميثاق والتاريخ الأدبي": فيليب لوجون، ترجمة . عمر حلمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٤م، ص٢٢

[٢] **المذكرات:** يعني صاحبها بتصوير الأحداث التاريخية أكثر من عنايته بتصوير واقعه الذاتي، فهو يلتزم بالتسجيل والتحليل والتوضيح لما يدور حولها، أما ما يدور داخلها فيظل في الظل.

اليوميات: يسجلها صاحبها يوماً بيوم، فهي سجل للتجارب والخبرات اليومية، والأحداث الحياتية للشخص، غير أنها تفتقر إلى عنصر الحكي الاستعادي في القص، وتأتي على شكل منقطع غير رتيب.

الاعترافات: ظهر هذا المصطلح في أوربا، وله علاقة بالدين والكشف الصوفي الأقرب إلى لغة التداعي.

ينظر التمييز بين هذه المصطلحات في:

* الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث: يحيى إبراهيم عبد الدايم، دار إحياء التراث العربي، بيروت(بتصرف)

* المجلة العربية، العدد (٥٣١)، ربيع الآخر ١٤٤٢هـ – ديسمبر ٢٠٢٠م، " عدد خاص عن السيرة "

وركز فيليب لوجون في التعريف السابق على أن الكلام في السيرة سرد لحياة صاحبها، وأن حياته نفسها موضوع السيرة، ووضع أربعة خطوط عريضة للسيرة الذاتية بوصفها جنساً أدبياً قائماً بذاته، وهي:

- شكل الكلام (حكي نثري)
- والموضوع المطروق فيه (حياة فردية وتاريخ شخصية معينة)
- وموقع المؤلف (التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية الرئيسة)
- ومنظور الحكي (يجب أن يكون استعادياً لحياة ماضية).

وإننا نودُّ أن نتخذ من هذا التعريف وتلك الشروط منطلقاً نظرياً نتكئ عليه في هذه الدراسة الموسومة بـ " **تقنيات السرد السير ذاتي في رحلة ابن العربي ت٥٤٣هـ ترتيب الرحلة للترغيب في الملة** "، ولعله من المناسب الحديث عن هذا التركيب الفني لعنوان الدراسة المكوَّن من: السرد كعنوان مستقل يقابله السيرة الذاتية بتجلياتها وأبعادها الفنية، بمقاربة فنية للعلاقات التي تربط السرد (التقنيات) بجانب السيرة الذاتية (الوظائف)، وهو ما نهدف إليه في مسعانا لهذه الدراسة.

فهذه الدراسة إذن تتمحور حول تقنيات السرد وأبعاده التي تتسم بها السيرة العلمية لابن العربي التي ضمنها رحلته " **ترتيب الرحلة للترغيب في الملة**، وسجل فيها تجربته الصادقة التي عاشها في بلده وخارجها، متصلة بالأحداث العامة، منعكسةً عنها ومتأثرةً بها، وتتبع فيها مراحل حياته، وانتقاله من بلد إلى بلد في سبيل تحصل العلم؛ لتحقيق الغاية التي يصبو إليها، وهي معرفة الله.

وقد صاغ ابن العربي سيرته الذاتية بأسلوب واضح ولغة سامية، توافر لها سلاسة السرد القصصي، فكانت لغته عوناً له في إعادة الماضي، وبعث الحياة في تجاربه، فكشف عن تحول مسار شخصيته وتطورها، وعني بعنصري الزمان والمكان.

وإن نص الرحلة –موضوع الدراسة– مطبوع في كتاب "قانون التأويل"[٣] لابن العربي، وورد مطبوعاً محققاً في كتاب " مع القاضي ابن العربي"[٤]، الذي اعتمد محققه على نسختين خطيتين: أولاهما نسخة خطية بمكتبة حاجي سليم أغا باستانبول، والأخرى نسخة خطية للكتاني[٥].

ويجدر القول: إن نص الرحلة الموجود بين أيدينا هو نص مختصر وليس كاملاً[٦]؛ وذلك

---

[٣] قَانون التَّأويْل: أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: محمّد السّليماني، دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة، جَدّة، مؤسَسَة عُلوم القرآن، بيروت، الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ص٤١٤-٤٥٤

[٤] مع القاضي ابن العربي: سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص١٨٥-٢٢٧.

[٥] السابق، ص١٨٣

[٦] تشير بعض المصادر إلى أن ابن العربي لما تسورت عليه الغوغاء دارَه أيام قضائه بإشبيلية، استلبت متاعه، وأحرقت كتبه، وربما كان من بينها كتاب"

لأن النص الأصلي الكامل فُقد في حياة ابن العربي، ثم أعاد كتابته مرة أخرى معتمداً على ذاكرته، وقال: " فلما شذّ في معرض المقادير، واستلبته الحوادث بما سَبَقَ في علم الله من التدبير، رأينا أنْ نُجَدِّدَ مَا سَلِمَ في الرقاع الموجودة، مع ما حضر في الذكر، ليكون عنواناً لما جرى، وتنبيهاً على فضل من تَأَوَّبَ"[٧]. وذكر ابن العربي في مؤلفات له أخريات أموراً وأحداثاً ذكر أنه أوردها في رحلته، كما في كتاب أحكام القرآن[٨]، ولكن لا ذِكر لهذه الأمور وتلك الأحداث في النص الموجود بين أيدينا مما يؤكد اختصاره.

وربما تكون النسخة الكاملة التي فقدها ابن العربي احتفظ بها غيره، وتوارثها من جاؤوا بعده بقرون، ونقلوا عنها في مؤلفاتهم، ومن هؤلاء: الحطاب الرعيني ت٩٥٤هـ الذي نقل في كتابه مواهب الجليل[٩] نصاً عزاه لابن العربي في ترتيب الرحلة، وكذلك روى عنه الزبيدي ت١٢٠٥هـ في تاج العروس[١٠] بعض المواد اللغوية، ولا وجود لهذا النص وتلك المواد في الرحلة الموجودة بين أيدينا.

وهذه الرحلة توافر لها من الشروط ما جعلها أقرب إلى السيرة الذاتية في الأدب الحديث، ومن هذه الشروط:

* التطابق بين السارد والمؤلف، فضلاً عن أن الشخصية صاحبة السيرة ذات مكانة علمية حافلة بالأحداث المثيرة والمتواصلة.

* الميثاق السير ذاتي الذي يربط مؤلف السيرة الذاتية وسيرته بالمتلقين، ذلك الذي استهل به ابن العربي رحلته.

* السيرة التي ضمنها ابن العربي رحلته تم بناؤها بناء محكماً متكاملاً متسلسلاً قائماً على التدرج والنمو والتطور الذي يتوافق مع مراحل حياة ابن العربي، مما جعلها قصة أو حكاية تعتمد على السرد.

ترتيب الرحلة ". ينظر. بيوتات فاس الكبرى: إسماعيل ابن الأحمر ت ٨٠٧هـ، دار المنصور، الرباط – المغرب، ١٩٧٢م،ص ٦١.

[٧] قانون التأويل، ص٤١٤، مع القاضي ابن العربي، ص١٨٥

[٨] يُنظر . أحكام القرآن: أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، ج٢ص٥، ص ٥٥٤– ج٣ص٧٤ – ج٤،ص٣٩٢.

[٩] ينظر. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: الحطاب الرُّعيني المالكي (المتوفى: ٩٥٤هـ): دار الفكر، الثالثة، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، ج٣ص٧٠

[١٠] ينظر هذه المواد اللغوية في: تاج العروس من جواهر القاموس: أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق. مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج٣ص٧٩.

وهذه الدراسة تهدف إلى:

(١) التعريف برحلة ابن العربي " أسبابها، ومضمونها، وغايتها "

(٢) الوقوف على العتبات النصية في سيرة ابن العربي، والتي تعد مفتاحاً مهماً للكشف عن فنية النص.

(٣) الكشف عن تقنيات السرد وأبعاده التي اتسمت بها سيرة ابن العربي.

(٤) إبراز الميثاق السير ذاتي الذي ضمَّنه ابن العربي مقدمة سيرته، وبيان مدى وفائه به.

وقد اقتضت هذه الأهداف أن تكون الدراسة في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: رحلة ابن العربي " أسبابها، ومضمونها، وغايتها "

المبحث الثاني: العتبات النصيَّة في رحلة ابن العربي

المبحث الثالث: تقنيات السرد في سيرةابن العربي

وقد أسلمتنا الدراسة إلى المنهج الوصفي التحليلي؛ ليتسع فيحتضن كل ما يمكن أن يفتح النص السردي، ويستنطق جمالياته: السيميائية والأسلوبية، وهذا ما تطلبه موضوع البحث.

نسأل الله أن يبلغ بنا من الحمد ما هو أهله، وأن يعلمنا حكمة الخطاب وفصله.

المبحث الأول: رحلة ابن العربي " أسبابها، ومضمونها، وغايتها "

إن الرحلات الأندلسية والمغربية كثيرة، إلا أن ما وصل إلينا منها قليل مقارنة بالإشارات الواردة في المصادر التي رصدت الدور العظيم الذي قام به الرحالة المغربيون والأندلسيون؛ خدمة للدين والعلم، وتعريفاً بالملامح الإنسانية والاجتماعية والثقافية والجغرافية للأماكن التي حلّوا بها، قال نقولا زيادة: " إن رحلة المغاربة إلى المشرق كانت –على وجه العموم– أكثر من رحلة المشارقة إلى المغرب، فمركز الحج في المشرق، ومدن العلم الأولى فيه، فكان من الطبيعي أن يزور المغاربةُ المشرقَ أكثر من زيارة المشارقة لبلادهم"[١١].

وكان علماء الأندلس يرون منقصة عظيمة في حق العالم الأندلسي الذي يقبع في داره بالأندلس ولا يرحل إلى المشرق، قال أحمد أمين: " رحل بعض الأندلسيين إلى المشرق، وندبوا أنفسهم لتحصيل علم من علومه، والتبحر فيه، ثم الرجوع إلى الأندلس؛ لنشر ذلك العلم بين أهله...ويجد القارئ في النفح[١٢] ثبتاً طويلاً بأسماء مَن رحلوا من الأندلس إلى المشرق؛

---

[١١] الجغرافية والرحلات عند العرب: نقولا زيادة ، دار الكتاب اللبناني، ودار الكتاب المصري، ١٩٨٧م، ص١٦٧.

[١٢] يقصد كتاب: نفح الطيب وغصن الأندلس الرطيب

للتزوّد بالعلم، وبلغ من إقبالهم على ذلك أن كان الشخص يُعاب بأنه لم يرحل إلى المشرق"[١٣].

ونتج عن هذه الرحلات إحداث ترابط وثيق بين المشرق والأندلس رغم بُعد الشُّقة بينهما، ونقل الذاكرة المعرفية المشرقية عامة إلى أهل الأندلس، مما جعلهم يعتزون بإسلامهم وعروبتهم.

وبعض الرحلات تمثل نصوصاً أدبية من خلال صيغتها السردية المتماسكة من بدايتها إلى نهايتها، وعند دراستنا لأدب الرحلات علينا أن نميز بين الرحلة بوصفها فعل يتجسد في الانتقال من مكان لآخر، والرحلة بوصفها خطاب مقيد في نص متعدد الأبعاد.

ومن الرحلات الأندلسية إلى المشرق: " **ترتيب الرحلة للترغيب في الملة** " لابن العربي، وقبل الحديث عن الرحلة يجب التعريف بصاحبها، فاسم المؤلف من أول ما يستهل به القارئ؛ لأنه العتبة التالية للعنوان؛ إذ لا يمكن قراءة كتاب –لاسيما في السيرة– دون معرفة اسم المؤلف، وهناك أسماء مؤلفين غنية عن التعريف بمجرد رؤيتها نتبين خصائصها الفنية والفكرية، وهناك من هم دون ذلك.

وعند قراءتنا لرحلة ابن العربي فإنه سيتبادر إلى الذهن مباشرة أننا أمام سيرة إمام وعالم ومفسر ولغوي وفقيه، إنه **(أبو بكر ابن العربي "٤٦٨ – ٤٥٣ هـ = ١٠٧٦ – ١١٤٨ م)** [١٤] من علماء الأندلس المميزين البارزين في بداية القرن السادس الهجري، الإمام الفقيه المفسِّر أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي، ولد في شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة للهجرة في إشبيلية كبرى عواصم الأندلس أيام المعتمد بن عباد[١٥]، لأسرة جمعت بين: الدين، والعلم، والرياسة، حيث كان أبوه أبو محمد بن عبد الله بن العربي (٤٣٥–٤٩٣هـ) عالماً فقيهاً، وشاعراً ماهراً، وخطيباً مفوهاً، وكان من وجوه علماء إشبيلية، وكبرائها المرموقين، وأعيانها البارزين، تقلَّب في المناصب حتى كان وزيراً مفوضاً لبني عباد. وصاهر أبو محمد بن العربي أسرةً تقاسمه الرياسة وتشاطره السياسة، أسرة أبي حفص عمر بن الحسين الهوزني (٣٩٤–٤٦٠هـ) صاحب المكانة الرفيعة بين علماء الأندلس ووجهائها.

---

[١٣] ظهر الإسلام : أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص ٤٨٧

[١٤] **نُسبت هذه الرحلة –خطأ– إلى محي الدين بن عربي ت٦٣٨هـ** . يُنظر ذلك في: عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة: أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد، أبو العباس الغِبْرِيني (المتوفى: ٧١٤هـ)، حققه وعلق عليه: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الثانية، ١٩٧٩ م، ص١٦٨، وربما كان الخطأ بسبب التشابه الكبير بين الاثنين في: الاسم، والكنية فضلاً عن أنهما أندلسيان.

[١٥] ينظر. سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، دار الحديث– القاهرة، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م، ج١٥ ص٤٢، طبقات الحفاظ: جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤٠٣، ص٤٦٨

وفي هذه البيئة نشأ الإمام ابن العربي، فتشكلت معالم شخصيته، وتأسست قواعد انطلاقته، وتبلورت مكامن نفسيته، فشبَّ على حب العلم، طموحاً إلى المعالي، حيث فتح عينيه فوجد العلم والمعلم بين يديه، فلا عجب بعدها أن يكون هو الإمام المفسِّر والفقيه المجتهد عالم الأندلس وقاضيها.

وجمع ابن العربي وصنَّف، وبرع في البلاغة والأدب، وبعد صيته، وكان ثاقب الذهن، بحراً في العلم، موطَّأ الأكناف، كريم الشمائل، ولي قضاء إشبيلية فكان ذا سطوة وشدة، ثم عُزل فأقبل على التصنيف والتأليف ونشر العلم، وصنَّف في: علوم القرآن، والحديث، والفقه والأصول، والنحو، والأدب، والتاريخ حتى فاقت مؤلفاته الوصف وأربت على الحصر.

توفي أبو بكر بن العربي في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة أثناء منصرفه من مراكش بعد آداء البيعة لعبد المؤمن بن علي قائد الموحدين[١٦].

قال عنه الذهبي: " أدخل الأندلس علمًا شريفًا وإسنادًا منيفًا، وكان متبحرًا في العلم ثاقب الذهن عذب العبارة موطأ الأكناف كريم الشمائل كثير الأموال، ولي قضاء إشبيلية فحمد وأجاد السياسة، وكان ذا شدة وسطوة، ثم عُزل فأقبل على التصنيف ونشر العلم"[١٧] .

ونقل المقري عن القاضي عياض أنه قال فيه: " أتقن مسائل الخلاف والأصول والكلام، على أئمة هذا الشأن، وعاد إلى بغداد بعد دخولها، وانصرف إلى الأندلس، فأقام بالإسكندرية، فمات أبوه بها أوّل سنة ثلاث وتسعين. ثم انصرف إلى الأندلس، فسكن بلده إشبيلية، وشُوور فيه، وسمع ودرس الفقه والأصول، وجلس للوعظ والتفسير، وصنف في غير فن تصانيف مليحة، حسنة مقيدة، وولى القضاء مدة، أولها في رجب من سنة ثمان وعشرين، فنفع الله به، لصرامته ونفوذ أحكامه، والتزم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، حتى أوذي في ذلك، بذهاب كتبه وماله،

---

[١٦] **يُنظر المزيد عن ترجمته في:**

- خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء المغرب والأندلس: عماد الدين الكاتب الأصبهاني٥٩٧هـ)، تحقيق: آذرتاش آذرنوش، نقحه وزاد عليه: محمد المرزوقي وآخرين، الدار التونسية للنشر،١٩٧١ م، ص ٢٦٩
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان (المتوفى: ٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الأولى،١٩٧١م، ج٤ص٢٦
- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر: أبو محمد الطيب بن عبد علي بامخرمة، الهِجراني (٨٧٠ – ٩٤٧ هـ)، عُني به: بو جمعة مكري وخالد زواري، دار المنهاج – جدة، الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٨ م، ج٤ص١٤٧
- الأعلام: خير الدين بن محمود الزركلي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م، ج٦ص٢٣٠

[١٧] تذكرة الحفاظ: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الأولى، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م، ج٤ص٦٢

فأحسن الصبر على ذلك كله، ثم صرف عن القضاء، وأقبل على نشر العلم وبثه، وكان فصيحاً حافظاً، أديباً شاعراً، كثير الملح، مليح المجلس"[١٨] .

وقال عنه ابن بشكوال: " الإمام العالم الحافظ المستبحر ختام علماء الأندلس، وآخر أئمتها وحفاظها"[١٩] .

وقال عنه السيوطي: " جمع وصنف وبرع فِي الْأَدَب والبلاغة، وَبعد صيته، وَكَانَ متبحراً فِي الْعلم ثاقب الذِّهْن، موطأ الأكناف، كريم الشَّمَائِل، ولي قَضَاء إشبيلية فَكَانَ ذَا شدَّة وسطوة، ثمَّ عُزل فَأقبل على التَّأْلِيف وَنشر الْعلم وَبلغ رُتْبَة الِاجْتِهَاد"[٢٠].

وقال عنه المقري: " كان من أهل التفنن في العلوم، متقدماً في المعارف كلّها، متكلّماً على أنواعها، حريصاً على نشرها، وقام بأمر القضاء أحمد قيام، مع الصرامة في الحق، والقوّة والشدة على الظالمين والرفق بالمساكين، وقد روي عنه أنّه أمر بثقب أشداق زامرْ، ثم صرف عن القضاء، وأقبل على نشر العلم وبثّه"[٢١] .

وإذا انتقلنا للحديث عن الرحلة فإننا نعدُّها زاد ابن العربي واعتماده، ومفخرة من مفاخره، حيث رحل كثيرون من الأندلسيين إلى المشرق إلا أنهم لم يرجعوا بمثل ما رجع به ابن العربي، وقد قيل في ترجمته: " ثم عاد إلى الأندلس سنة ثلاث وتسعين، وقدم إلى إشبيلية بعلم كثير لم يدخله أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق"[٢٢]، وقال ابن العربي عن نفسه: " كل من رحل لم يأت بمثل ما أتيت به من العلم إلاّ الباجي[٢٣] "[٢٤].

---

[١٨] أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة، ١٣٥٨ هـ – ١٩٣٩ م، ج٣ص٦٤

[١٩] الصلة في تاريخ أئمة الأندلس: أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (المتوفى: ٥٧٨ هـ) ، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، الثانية، ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م، ص٥٥٨

[٢٠] طبقات الحفاظ: السيوطي، ص ٤٦٨

[٢١] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٢ص ٢٩

[٢٢] وفيات الأعيان لابن خلكان، ج٤ص٢٦٩، طبقات المفسرين للسيوطي، ص١٠٥

[٢٣] أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي (٤٠٣ – ٤٧٤ هـ = ١٠١٢ – ١٠٨١ م) : فقيه مالكي كبير، من رجال الحديث. أصله من بطليوس ومولده في باجة بالأندلس. رحل إلى الحجاز سنة ٤٢٦ هـ فمكث ثلاثة أعوام. وأقام ببغداد ثلاثة أعوام، وبالموصل عاما، وفي دمشق وحلب مدة. وعاد إلى الأندلس، فولي القضاء في بعض أنحائها. وتوفي بالمرية. ينظر ترجمته. معجم الأدباء: ياقوت الحموي، ج٣ص١٣٨٧، وفيات الأعيان: ابن خلكان، ج٢ص٤٠٨، المغرب في حلى المغرب: ابن سعيد الأندلسي، ج١ص٤٠٤، سير أعلام النبلاء: الذهبي، ج١٤ص٥٥، الوافي بالوفيات: الصفدي، ج١٥ص٢٢٩، الأعلام: الزركلي، ج٣ص١٢٥.

[٢٤] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذِكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: شهاب الدين أحمد بن محمد

ولم تكن هذه الرحلة في بادئ الأمر سوى حلم يراود ابنَ العربي في يقظته كلما استبد به طموحه، وسمع عمَّن رحلوا إلى المشرق ونقلوا علومه، فقال: "ونذرتُ في نفسي طية، لئن ملكتُ أمري لأهاجرنَّ إلى هذه المقامات، ولأفدنَّ على أولاء الرجالات، وَلأتَمَرَّسنَّ بما لديهم من المعاقد والمقالات واكْتَتَمْتُهَا عزيمة غير مثنوية، فلما وقعت هذه الحال، كنت مع تفاقم الخَطْب، وتعاظم الأمر الواردين عليَّ، نِعْمَة سابغة، ونَعْمَة بالغة، أتسلّى بما كان في طَيَّتي من الرحلة، فترى كل من فقد نعمة يبتئس، وإذَا نَظَرْتَ إليَّ وَجَدْتَنِي أتَأنَّس"[٢٥].

ولم يختر ابن العربي لرحلته رفقة ولا موعداً، بل كانت بمثابة حالة فرضها سوء الحال، ونعمة أورثتها نقمة، حيث خرج به أبوه بعد سقوط دولة بني عباد في إشبيلية سنة ٤٨٤هـ قاصداً الحج، ولعله استتر بهذا المقصد، ولم يكن ابن العربي يومئذ تجاوز سبعة عشر عاماً، قال ابن العربي:" فدعت الضرورة إلى الرحلة، فخرجنا والأعداء يشمتون بنا، وآيات القرآن تَنْزِعُ لنا، وفي علم الباري جلت قدرته أنه ما مر عَلَيّ يوم من الدهر كان أعجبَ عندي من يوم خروجي من بلدي، ذاهباً إلى ربي"[٢٦]، وقال أيضاً:" فخرجنا مُكْرَمِينَ، أو قل مكرهين، آمنين وإن شئت خائفين، وفررت منكم لما خفتكم، فوْهب لي ربي حكماً وجعلني من العالمين. وكتبني في أتباع من قال: {إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ}[٢٧] "[٢٨].

إن كلام ابن العربي السابق يشعرنا أن الرحلة **كانت اضطرارية وليست اختيارية**، حيث ألجأت والدَه للسفر بعد أن تغيرت أحوالهم وساءت، وزالت المكانة التي كانوا يتبوؤونها والمنزلة التي كانوا ينعمون بها في دولة بني عباد في إشبيلية.

لقد أولى ابن العربي هذه الرحلة اهتماماً بالغاً، فدوّنها، ووسمها بـ " ترتيب الرحلة للترغيب في الملة "، ثم ضاع ما كتبه عنها في حياته، ولم يذكر ابن العربي سبب ضياعه، فراح يجمع منها ما حضر في ذاكرته، وما سلم له منها في الرقاع إلى أن كان النص الذي بين أيدينا، قال ابن العربي: " إنَّ الله سبحانه –له الحمد وله الشكر، وبيده الخير والشر، ومنه النفع والضر – يَسَّرَ لي طلب العلم على الوجه الذي كنا رتَّبنا بيانه في كتاب "ترتيب الرحلة للترغيب في الملة"، فلما شذّ في معرض المقادير، واستلبته الحوادث بما سَبَقَ في علم الله من التدبير، رأينا أنْ نُجَدِّدَ مَا سَلِمَ في الرقاع الموجودة، مع ما

---

[٢٥] مع القاضي ابن العربي، ص١٩٣، قانون التأويل، ص٤٢١-٤٢٢

المقري التلمساني ت١٠٤١هـ، تحقيق. إحسان عباس، دار صادر، بيروت – لبنان، الأولى، ١٩٩٧، ج٢ص٢٩

[٢٦] مع القاضي ابن العربي، ص١٩١، قانون التأويل، ص٤٢٠

[٢٧] سورة الصافات: ٩٩.

[٢٨] مع القاضي ابن العربي، ص١٩٣، قانون التأويل، ص٤٢٢

حضر في الذكر، ليكون عنواناً لما جرى، وتنبيهاً على فضل من تَأَوَّبَ، وَسِرّاً وحجّة لمن قال: قد تعدى من تمنّى أن يكون مثل من تعنى، ونقرن به من نُكَتِ المعارف، ما يقوم به مائلُ العذر، ويتضح منه ما استبهم لكم من الأمر"[٢٩].

وذكر ابن العربي الهدف الأسمى من هذه الرحلة، **وهو معرفة الله**، ذلك الهدف الذي يتناغم مع عنوانها، فقال: " لا أمل لي إلاَّ التشوف إلى المقصد الأسنى، المنتحى في كل معنى، وهو معرفة الله تعالى؛ لأنا إن نظرنا في العالم لم ننظر فيه من حيث إنه متقن الصنعة، أو جميل المنظرة، أو عام المنفعة، أو كبير الجِرْم، وإنما نبتهل به، ونُقْبِلُ بوجه النظر إليه، من حيث إنه صنعة الله ... وإن نظرنا في أعمالنا لم ننظر فيها من حيث أنها حركات تجلب منفعة أو تدفع مضرة، وإنما ننظر فيها من حيث أنها خدمة الله أو تخالف أمر الله، فالمقصود بكل نظر وفي كل قول وعمل إنما هو الله سبحانه "[٣٠].

ويمكننا أن تتبع خط سير الرحلة التي استوعبت مساحة كبيرة من المشرق العربي، حيث ابتدأها من بلاد الأندلس: إشبيلية ثم مالقة ثم غرناطة ثم ألمرية، ثم فارق بلاد الأندلس ونزل بلاد المغرب العربي مبتدئاً ببونة بالجزائر، ثم نزل تونس، ومنها رحل إلى الإسكندرية ثم القاهرة، ثم بلاد دمشق والشام وأقام في بيت المقدس فترة، ثم نزل العراق وتنقل بين مدنها، ثم رحل إلى بلاد الحجاز، ثم طفق عائداً إلى بلده.

ولهذه الرحلة قيمة علمية وأدبية: أما القيمة العلمية فتتمثل في أنها غزيرة المادة، متشعبة الأغراض، منثورة المسائل، جامعة لكثير من الفوائد: العلمية، والفقهية، والتاريخية، والجغرافية... **فضلاً عن كونها ترجمة ذاتية** تكشف جوانب من شخصية الإمام الفقيه أبي بكر بن العربي وحياته، سطَّرها بيده، وتحدث فيها عمَا كان عليه في طفولته، ثم ما كان عليه في عنفوان شبابه وريعان حداثته من اهتمام بالعلم ومجالسةٍ للعلماء ومطالعة لأمهات الكتب في مختلف العلوم والفنون، مشيداً بفضل والده عليه في ذلك، ثم مضى يسرد لنا شيئاً من أخبار رحلته إلى المشرق وتنقله بين بلدانه قاصداً علماءه، ثم رجوعه إلى الأندلس ببضاعة علمية فاقت الوصف وأربت على الحصر لم يرجع بمثلها أحد من الأندلسيين الذين رحلوا إلى المشرق، ويضاف إلى ما سبق: إسهابه في الحديث عن أخبار رحلته وحوادثها، وعن المدن والأقطار التي مرَّ أو حلَّ بها، ووصف ما بها من مراكز علمية وثقافية ودينية وصفاً دقيقاً، فضلاً عن التعريف بعلماء المشرق الذين أخذ عنهم أو ناظرهم، مما جعل الرحلة سفراً علمياً عظيم النفع والفائدة.

قال المقري: " كتاب ترتيب الرحلة فيه من الفوائد ما لا يوصف "[٣١].

---

[٢٩] مع القاضي ابن العربي، ص١٨٥، قانون التأويل، ص ٤١٣-٤١٤.

[٣٠] مع القاضي ابن العربي، ص ٤٢٢، قانون التأويل، ص ٤٥٤

[٣١] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٢ص٢٦

وأما القيمة الأدبية فتتمثل في أن ابن العربي قدَّم رحلته أو سيرته العلمية للقارئ بأسلوب مشرق رصين، وآداء راقٍ، وتعبير رفيع، وبراعة في تخير الألفاظ الجزلة التي تبرز المعنى مع خلوها من روح التكلف الذي يجني أحياناً على المعنى.

المبحث الثاني: العتبات النصيَّة في سيرة ابن العربي

تعد العتبات النصية مفتاحاً مهماً للكشف عن فنية النص، وهي آلية جديدة يلجأ إليها الدارس والناقد في مراودة آفاق النص، ودراستنا لعتبات النص في رحلة ابن العربي المتضمنة سيرته تصب في " رافد الدراسات النقدية التي تعنى بالموروث العربي القديم، ولكن بطريقة طرح معاصرة؛ لتجمع بين عمق الأصالة وغنى الحداثة، وهي بذلك تؤكد أهمية قراءة معظم ما جاء به تراثنا العربي النقدي وفق نظرة حداثية معاصرة تنسجم مع أحدث ما جاء به النقد الحديث من آراء ونظريات"[٣٢].

والعتبات أو المرافقات النصية تمثل: " المداخل التي تجعل المتلقي يمسك بالخيوط الأولية والأساسية للعمل المعروض... وعبرها نقتحم أغوار النص وفضاءه الرمزي والدلالي"[٣٣]، وهي – حسب رأي جيرار جينت – العناصر المحيطة بالنص التي تُسَيّجه، وتسميه، وتحميه، وتدافع عنه، وتميزه عن غيره، وتُعيِّن موقعه في جنسه، وتحث القارئ على اقتنائه"[٣٤]، وهي تشمل: العنوان، واسم المؤلف، والمقدمات، والملحقات، والإهداءات، والصور المثبتة على الأغلفة... أي كل ما يحيط بالنص من الخارج ويسيجه، ويسهم في إظهار الميزة الأساسية للعمل المعروض.

ودراستنا للسيرة الذاتية في رحلة ابن العربي سوف تتناول العتبات والمرافقات النصية التي تتناسب وطبيعة النصوص التراثية، وتتمثل فيما يلي:

- العنوان
- الميثاق السير ذاتي (دوافع الكتابة)

أولاً– العنوان.

يمثل العنوان بنية نصية تختزل مضمون العمل في تركيب لغوي شديد الإيجاز عميق الدلالة، " والعنوان للكتاب كالاسم للشيء، به يُعرف وبفضله يُتداول، ويُشار به إليه، ويُدلّ به

---

[٣٢] العلاقة بين العتبات النصية والمتن في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة دراسة نقدية: ملكة علي كاظم الحداد، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، العراق، العدد السابع، المجلد الرابع، ٢٠٠٩م، ص٩٧.

[٣٣] السيميوطيقا والعنونة: جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد الثالث، المجلد الخامس والعشرون، ١٩٩٧م، ص١٠٢

[٣٤] ينظر. خطاب الحكاية " بحث في المنهج ": جيرار جينت، ترجمة. محمد معتصم وآخرين، منشورات المشروع القومي للترجمة التابع للمجلس الأعلى للثقافة، مصر، الثانية، ١٩٩٧م، ص١٠٥

عليه"[٣٥]، والعنوان يقدم نفسه على أنه مفتاح تأويلي" يسعى إلى ربط القارئ بنسيج النص الداخلي والخارجي ربطاً من العنوان الجسر الذي يمر عليه"[٣٦].

والعنوان يعرفه لوي هويك في كتابه سمة العنوان بأنه " مجموعة العلامات اللسانية من كلمات وجمل وحتى نصوص قد تظهر على رأس النص؛ لتدل عليه وتُعَيّنُه وتشير إلى محتواه الكلي ولتجذب جمهوره المستهدَف"[٣٧]، وهذا التعريف يحدد طبيعة العنوان، " فهو رسالة لغوية من حيث هو علامة لسانية ويحدد وظائفه من حيث هو مادة كلامية وأدبية أو نص صغير يظهر على رأس نص ما قصد تعيينه أو تحديد مضمونه أو جذب جمهوره المستهدَف وإغرائه به"[٣٨].

وللعنوان فاعليه كبيرة عند تلقي النص، " فهو أول شيفرة رمزية (symbolical code) يلتقي بها القارئ، فهو أول ما يشدّ انتباهه، ويجب التركيز عليه وفحصه وتحليله، بوصفه نصًّا أوليًّا يشير، أو يُخبر، أو يوحي بما سيأتي. وعلى القراءة، باعتبارها تلقيًا منهجيًّا، أنْ تلتفت إلى العنوان محاولةً ربطه بجسد النص، وهنا تبدأ عملية تأويل العنوان وبناء نصيّته"[٣٩].

ورحلة ابن العربي المتضمنة سيرته وسمها **بـ " ترتيب الرحلة للترغيب في الملة "**، فقال: " إنَّ الله سبحانه –له الحمد وله الشكر، وبيده الخير والشر، ومنه النفع والضر –يَسَّرَ لي طلب العلم على الوجه الذي كنا رتَّبنا بيانه في كتاب "ترتيب الرحلة للترغيب في الملة"[٤٠].

إن هذا العنوان يقدم موضوع النص الذي هو رحلة تتضمن سيرة ابن العربي الذاتية لاسيما ما يتعلق منها بارتحاله إلى المشرق العربي وتنقله بين بلدانه ولقائله بعلمائه وأعلامه تحصيلاً للعلم الذي تحصل به معرفة الله، وهي الغاية العظمى من الرحلة، مما يجعل المتلقي يدخل إلى النص ولديه تصور عن موضوع الرحلة ومضمونها يكاد يكتفي معه بالعنوان، **ومباشرة النص تضافرت مع مباشرة العنوان،** وانتشار دلالاته داخله أسهمت في ذلك التصور، فالعنوان إذن يحيط بالنص الرحلي أو السير ذاتي من جميع جوانبه، ودلالة العنوان موزعة على أهداف الرحلة ومقاصدها التي بمجرد الوقوف عليها وقراءتها نكشف مبرراً قوياً لاختيار

---

[٣٥] العنـوان وسـيميوطيقا الاتصـال الأدبـي: محمد فكـري الجزار، الهيئـة المصـرية العامـة للكتـاب، ١٩٩٨م، ص١٧

[٣٦] هويـة العلاقـات فـي العتبـات وبنـاء التأويـل: شـعيب حليفـي، المجلـس الأعلـى للثقافـة، القـاهرة، الأولـى، ٢٠٠٤م، ص٢٥

[٣٧] عتبات (جيرار جينت من النص إلى المناص): عبد الحق بلعابد، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان– بيـروت، منشـورات الاخـتلاف، الجزائـر، ٢٠٠٨م، ص٦٧

[٣٨] السابق، ص٧٤٧

[٣٩] سيمياء العنوان: بسام موسى قطوس، وزارة الثقافة، عمان– الأردن، الأولى، ٢٠٠١م، ص٥٣

[٤٠] مـع القاضـي ابـن العربـي، ص١٨٥، قـانون التأويـل، ص٤١٣

هذا العنوان الذي يمثل اختصاراً لفكرة الرحلة وهدفها ومضمونها.

ومعلوم أن للعنوان وظائف تلعب دوراً مهماً يتكامل مع النص الأدبي في تشكيل الدلالات، والعنوان الذي وسم به ابن العربي رحلته أو سيرته " ترتيب الرحلة للترغيب في الملة" يحمل وظائف كثيرة أبرزها: **الوظيفة الإخبارية،** فهو يخبر عن مضمون النص ومنطلق فكرته التي تدور حول ارتحال ابن العربي لبلاد المشرق وتجوّله بين بلدانه وأقطاره ولقائه بعلمائه وأعلامه بحثاً عن العلم وتحصيلاً للمعرفة التي بها تحصل معرفة الله، ثم نقل خبرته وما استفاده إلى غيره.

ويضاف إلى ذلك **الوظيفة الإعلامية،** فإذا كانت الرحلة أو النص السير ذاتي نصاً قصصياً فإنه " يمكننا النظر في علاقة العنوان بالعمل القصصي على قاعدة الإعلام، هذا الوسيط بين الجمالي الخالص والاجتماعي الخالص، فلئن كانت أسلوبية قصٍ ما هي محض وسيلة لإنتاج إعلاميات القص، فعلى العكس يكون العنوان إنتاجية إعلامية، قد تتوسل – أحياناً– بأسلوبية ما لتحديد أفق تلقي العمل القصص"[٤١].

وإذا انتقلنا إلى الجانب اللغوي في العنوان " ترتيب الرحلة للترغيب في الملة" لاحظنا العنوان **مركباً** وليس مفرداً، وهذا يعطي العنوان مزيَّة؛ وذلك لأن العنوان المركب له أبعاد دلالية لا تحققها الكلمة المفردة، فضلاً عن أن العنوان المركب يعطي مساحة تأويل أوسع من العنوان المفرد؛ وذلك لأن الكلمة قد لا تمتلك أسلوباً يميزها عن غيرها ما لم تتحد مع غيرها.

والتركيب الإضافي في (ترتيب الرحلة) أفاد التعريف، وجعل الرحلة أكثر تحديداً ووضوحاً، فهي رحلة ذات شأن مميزة عن غيرها من رحلات ابن العربي، فضلاً عن أن **إضافة (ترتيب)** إلى **(الرحلة)** أعطى العنوان بعداً دلالياً ديناميكياً حركياً عززه النص.

وكلمة **(الترغيب)** المذكورة في العنوان مسبوقة بلام الجر التي تفيد التعليل؛ لذِكر غاية الرحلة وهدفها، هذه الكلمة تلعب دوراً مهماً في توقع دلالات النص، فالمتلقي يتوقع من قراءته لكلمة **(ترغيب)** أن ابن العربي سوف يذكر وسائل الترغيب التي استفادها وحاول نقلها لغيره، وإذا قرأنا النص سنرى الدلالات التي تناولها ابن العربي لبيان تحقيق الوظيفة الدلالية، فالنص يتناول أبرز ما من شأنه الترغيب في ملة الإسلام مثل: طلب العلم، والرحلة في سبيله، ومجالسة العلماء، والمناظرات، والمحاورات... فهناك عوالم نستنتجها من كلمة (الترغيب) التي تؤجج انفعالات المتلقي بما لها من إيحاءات وأبعاد تجعله يسأل عمَّا يرغب في الإسلام، وهذه الكلمة وحدها لا يمكنها أن تجعل العنوان عنواناً ذا وظيفة دلالية دون كلمات أخرى تدعمها من جهة، فضلاً عن دعم النص من جهة أخرى.

وإذا انتقلنا إلى الجانب الصوتي للعنوان، فإننا نلاحظ أن **البديع اللفظي** المتمثل في **الجناس**

[٤١] العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي: محمد فكري الجزار، ص١١٤

الناقص بين (ترتيب – ترغيب)، **والسجع** بين الفاصلتين في كلمتي: (الرحلة – الملة) يضفي على العنوان جرساً موسيقياً يعمل على هز الأسماع وجذب النفوس، ويدل على سعة المخزون اللغوي لدى ابن العربي، كما أنه يلعب دوراً إيجابياً في تفعيل النغمة وإيصالها إلى مستوى فني عالٍ يسهم في تعميق الدلالة وإثرائها وجذب انتباه المتلقي.

ثانياً– الميثاق السير ذاتي (دوافع الكتابة)

ترتبط أغلب النصوص السيرية بدوافع تأليفها وبواعث كتابتها، فهي لا تخلو من هذه الإشارات التي تدل على الميثاق السيري، وهو من أهم ما تتميز به نظرية **فيليب لوجون** في السيرة الذاتية، تلك النظرية (التعاقدية) التي تستمد أهميتها ومكانتها من المواصفات الصريحة أو الضمنية التي تربط مؤلفي السيرة الذاتية ومؤلفاتهم بالمتلقين، فهو يرى أن **السيرة الذاتية نوع من الأدب مبني على الثقة بين المؤلف والقارئ**، وذلك من خلال التصريح بالنوايا السير ذاتية التي تتخذ أشكالاً متعددة منها: العنوان، أو الإهداء، والمقدمة، والبيان الختامي، أو حتى الأحاديث الصحفية التي تتم وقت النشر[٤٢].

فالميثاق السير ذاتي هو " تلك العقدة التي يبرمها المؤلف مع القارئ لغاية التأكيد على التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية بكل شيء إلى الاسم والشخص المكتوب على الغلاف"[٤٣].

وهذا العقد الذي يبرمه مؤلف السيرة مع قارئها يتم بموجبه توجيه القارئ نحو هدف محدد أثناء قراءته للسيرة، كما أنه " يحمل القارئ منذ المستهل على أن يتقبل السرد باعتباره نقلاً لما جرى في التاريخ، وعلى أن يرى ضمير المتكلم في الفاتحة وبقية النص موضعاً للتطابق بين المؤلف والراوي والشخصية، وهو ما يعني أنه ينتظر من المؤلف أن يحدثه عن حياته أو عن جوانب منها"[٤٤]

ودوافع السيرة الذاتية وبواعث كتابتها متعددة متنوعة تتعلق بنوايا كل كاتب سيرة سواء أذكرها أم لم يذكرها، وقد تبارى كثير من كُتَّاب السيرة الذاتية في إبراز بواعث تدوين سيرهم الذاتية، وهذه البواعث على اختلافها يمكن أن تفسر للقارئ كتابة هذا النوع من الأدب.

وقد أورد ابن العربي في افتتاحية رحلته تصريحاً بدوافع كتابة سيرته العلمية، فقال: " إنَّ الله سبحانه –له الحمد وله الشكر، وبيده الخير والشر، ومنه النفع والضر –يَسَّرَ لي طلب العلم على الوجه الذي كنا رتَّبنا بيانه في كتاب

---

[٤٢] ينظر. أدب السيرة الذاتية: فيليب لوجون، ص٢، السيرة الذاتية "الميثاق والتاريخ والأدب": فيليب لوجون، ص٣٨–٣٩

[٤٣] أنساق الميثاق الأوطوبيوغرافي " السيرة الذاتية بالمغرب نموذجاً ": حسين البحراوي، مجلة آفاق، المغرب، العدد ٣ – ٤، ١٩٨٤م، ص ٤٤

[٤٤] الذاتية في بعض أجناس النثر القديم: نور الدين بنخود، منشورات ندوة المتكلم في السرد العربي القديم، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة ميونة، تونس، ٢٠١١م،ص ٩٢

"ترتيب الرحلة للترغيب في الملة" ، فلما شذّ في معرض المقادير، واستلبته الحوادث بما سَبَقَ في علم الله من التدبير، رأينا أنْ نُجَدِّدَ مَا سَلِمَ في الرقاع الموجودة، مع ما حضر في الذكر، ليكون عنواناً لما جرى، وتنبيهاً على فضل من تَأَوَّبَ، وَسِرّاً وحجّة لمن قال: قد تعدى من تمنّى أن يكون مثل من تعنَّى، ونقرن به من نُكَتِ المعارف، ما يقوم به مائلُ العذر، ويتضح منه ما استبهم لكم من الأمر"[٤٥].

هذه المقدمة السير ذاتية التي صدر بها ابن العربي رحلته تتضمن جانباً واحداً من جوانب حياته، وهو الجانب العلمي، أما الجوانب الحياتية الأخرى فلم يتعرض لها ابن العربي، **وهذا يعني أنه لم يكن يودُّ أن يكتب سيرة ذاتية شاملة، بل كان يهدف إلى تدوين سيرته العلمية فقط**، فهي إذن سيرة جزئية وليست كلية، **والمخاطب بها هم أولو العلم في المقام الأول.**

وقد التزم ابن العربي بهذا الميثاق الذي أورده في المقدمة، فبدأ يسرد سيرته العلمية منذ أن كان طفلاً في ريعان الحداثة، حيث رتَّب له والده معلمين يعلمونه القرآن، والحسبان، وعلوم العربية، فقال: " وكان من حسن قضاء الله أني كنت في عنفوان الشباب وريان الحداثة، وعند ريعان النشأة، رتب لي أبي – رحمه الله – معلماً لكتاب الله، حتى حذقت القرآن في العام التاسع، ثم قَرَنَ بي ثلاثةً من المعلمين، أحدهم هو لضبط القرآن بأحرفه السبعة ... والثاني لعلم العربية، والثالث للتدريب في الحُسْبَانِ"[٤٦].

ويبدو من قراءة سيرته أنه لم كان طفلاً حياته لم تكن كحياة أقرانه من الأطفال، بل كانت حياة جد ودراسة ومطالعة من الصباح حتى العصر، قال: " يتعاقب عليَّ هؤلاء المعلمون من صلاة الصبح إلى أذان العصر، ثم ينصرفون عَنِّي، وآخذ في الراحَةِ إلى صبح اليوم الثاني، فلا تتركني نفسي فارغاً من مطالعة، أو مذاكرة، أو تعليق فائدة، وأنا بغرارة الشباب أجمع من هذه الجُمَلِ ما يَجْمُلُ وما لا يجمل، والقَدَرُ يخبِّؤُها عندي للانتفاع بها في الرد على الملحدين، والتمهيد لأصول الدين"[٤٧].

فلمَّا بلغ السادسة عشرة من عمره حصَّل علماً وافراً كان زاده في رحلته إلى المشرق العربي فيما بعد، قال: " فلم يأت على ابتداء الأشد في العام السادس عشر من العدد، إلا وأنا قد قرأت من أحرف القرآن نحواً من عشرة ... وقد جمعت من العربية فنوناً، وتصرفت فيها تمريناً... وقرأت من الأشعار جملة... وقرأت في اللغة[٤٨]... وسمعت

[٤٥] قانون التأويل، ص ٤١٣– ٤١٤، مع القاضي ابن العربي، ص١٨٥–١٨٦

[٤٦] قانون التأويل، ص ٤١٥– ٤١٦، مع القاضي ابن العربي، ص ١٨٦–١٨٧

[٤٧] قانون التأويل، ص ٤١٩، مع القاضي ابن العربي، ص ١٩٠

[٤٨] أورد ابن العربي العلوم متبوعة بالكتب التي قرأها فيها، غير أني أوجزت فاقتصرت على ذكر أسماء العلوم فقط.

جملة من الحديث على المشيخة، وقرأت علم الحسبان"[٤٩].

ثم تبدلت حاله بدخول المرابطين أرض الأندلس، فلم يطب له المقام في أرض الأندلس[٥٠]، وهنا قرر الرحيل، فقال: " ثم حالت هذه الحالة الخاصة بالاستحالة العامة عند دخول المرابطين بلدنا سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، ووقع علينا من تلك الحوادث ما كان مدة أسف فوقنا، وصاب بأرضنا شؤبوب فتنة يا طال ما دارت سحابة بنا، فانصدع الالتئام، وتعدد ذلك النظام، وكان لنا خيرةً وللإسلام، ولم يكن بأرضنا المُقَام. فدعت الضرورة إلى الرحلة، فخرجنا والأعداء يشمتون بنا، وآيات القرآن تَنْزِعُ لنا، وفي علم الباري جلت قدرته أنه ما مر عَلَيّ يوم من الدهر كان أعجبَ عندي من يوم خروجي من بلدي، ذاهباً إلى ربي"[٥١].

والرحلة إلى المشرق كانت تمثل لابن العربي رغبة شديداً وهدفاً منشوداً كان يضمره في نفسه ويحدثها به منذ زمن، لاسيما بعد سماعه عن رحلة أبي الوليد الباجي ت ٤٧٤هـ[٥٢] إلى المشرق وعودته بأسفار علمية عظيمة، **فكانت رحلتُه إلى المشرق عزاءه في رحيله واغترابه عن بلده**، فقال:" ولقد كنت مع غزارة السبيبة، ونضارة الشبيبة، أحْرِصُ على طلب العلم في الآفاق، وأتَمَنَّى لَهُ حَالَ الصَّفَّاقِ الأفَّاقِ، وأرى أن التمكن من ذلك في جنب ذهاب الجاه والمال، وبُعْدِ الأهل بتغير الحال، ربح في التجارة، ونُجح في المطلب. وكان الباعث على هذا التشبث – مع هول الأمر– همة لزمت، وعزمة لجمت ، ساقتها رحمة سبقت. ولقد كنت يوماً مع بعض المعلمين، فجلس إلينا أبي –رحمة الله عليه– يطالع ما انتهى إليه علمي في لحظة سرقها من زمانه مع عظيم أشغاله، وجلس بجلوسه من حضر من قاصديه، فدخل إلينا أحد السماسرة وعلى يديه رِزْمَةَ كُتُب، فَحَلَّ شِنَاقَهَا وأرسل وِثَاقَهَا، فَإذَا بها من تأليف السِّمْنَانِيّ شَيْخِ البَاجِيّ. فسمعت جميعهم يقولون: هذه كتب عظيمة، وعلوم جليلة، جلبها الباجيّ من المشرق، فصدعت هذه الكلمة كبدي، وقرعت خلدي، وجعلوا يوردون في ذكره ويصدرون، ويَحْكُون أن فقهاء بلادِنا لا يفهمون عنه ولا يعقلون، وناهيك من أمة يجلب إليها هذا القدر الطفيف، فلا يكون منهم أحد يضاف إليه، إلاَّ بصفة العاجز الضعيف، ونذرت في نفسي طية، لئن ملكت أمري لأهاجرنّ إلى هذه المقامات، ولأفدنَّ على أولاء الرجالات، وَلأتَمَرَّسنَّ بما لديهم من العقائد والمقالات واكْتَتَمْتُهَا عزيمة غير مثنوية، فلما وقعت هذه الحال، كنت مع تفاقم الخَطْب، وتعاظم الأمر الواردين عليَّ، نِعْمَة

---

[٤٩] ينظر. قانون التأويل، ص ٤١٦– ٤١٩، مع القاضي ابن العربي، ص ١٨٧– ١٩٠

[٥٠] لم يكن قرار ابن العربي الذي رحل من الأندلس في معية والده نابعًا من ظلم المرابطين، ولكن والده كان رأساً من رؤوس السياسية زمن ملوك الطوائف، ومن ثم لم يعد له مكان ومكانة زمن المرابطين، فقرر الرحيل.

[٥١] قانون التأويل، ص ٤٢٠، مع القاضي ابن العربي، ص ١٩١

[٥٢] سبقت ترجمته

سابغة، ونَعْمَة بالغة، أتسلّى بما كان في طَيَّتي من الرحلة، فترى كل من فقد نعمة يبتئس، وإذَا نَظَرْتَ إليَّ وَجَدْتَنِي أتَأَنَّس. فخرجنا مُكْرَمِينَ، أو قل مكرهين، آمنين وإن شئت خائفين، وفررت منكم لما خفتكم، فوْهب لي ربي حكماً وجعلني من العالمين"[٥٣].

ثم طفق ابن العربي **يسرد لنا سيرته العلمية ورحلته متنقلاً من بلد لأخرى** باحثاً عن العلم وأهله ومصادره ومنابعه وأماكنه، وكانت إقامته في بلد رهينة ما به من علم وعلماء، فكان إذا ورد بلداً ولم يجد بها بغيته تركها، وإذا وجد بغيته بأخرى طال مكثه بها، قال: "وترددت في لقاء الناس بين أسفل وفوق، بما كنت فيه من المعارف من التوق، وناظرت الشِّيعَة والقَدَرِيَّة، وتدربت في جمل من الجدل، ونظرت في نبذ من علم الكلام ... ثم رحلنا عن ديار مصر إلى الشام، وأملنا الإمام، فدخلنا الأرض المقدسة، وبلغنا المسجد الأقصى، فلاح لي بدر المعرفة، فاستنرت به أزيد من ثلاثة أعوام"[٥٤]. ثم مضى يسرد سيرته العلمية وتحصيله للعلم ولقاءه بالعلماء في مالقة، ثم غرناطة، ثم ألمرية، ثم بجاية، ثم بونة، ثم تونس، ثم فارق المغرب العربي متنقلاً بين الشام وبيت المقدس، دمشق، ومصر بلاد الحجاز، ثم عودته إلى بلده بالأندلس.

ومما سبق يمكننا القول: إن ابن العربي كان هدفه ونيته كتابة سيرته التي جاءت من خلال الميثاق السيري الذي أودعه مقدمتها، إلا أنها سيرة ذاتية جزئية تعرض فيها مؤلفها إلى جانب واحد من حياته وهو الجانب العلمي، فهي إذن سيرة ذات

المبحث الثالث: تقنيات السرد في سيرة ابن العربي

يمثل السرد الطريقة أو الكيفية التي تروى بها القصة، وما تخضع له من مؤثرات تتعلق بالراوي والمروي عليه، أو بالقصة ذاتها، "وجوهر العملية السردية يقوم على إعادة تشكيل الواقعة الحقيقية أو الخيالية، أي الطريقة التي بها وصف الأفعال بعلاقاتها المختلفة وتشعباتها، وتقع مهمة انتقاء الآليات والتقنيات في توصيف الأفعال وتوصيلها إلى المتلقي على عاتق السارد الذي يحدد من خلال إدراكه للحكاية الكيفية التي يتم بها نقل الواقعة"[٥٥].

وللسرد تعريفات شتى تتركز في أنه الطريقة التي تروى بها القصة، ومنها أنه " عملية يستطيع الشخص من خلالها أن يتواصل مع غيره، ضمن إطار قصصي "الحكي"، مثل: رسالة يرسلها الشخص إلى غيره، فيكون عندها المرسل هو السارد، والمرسل إليه هو المسرود

---

[٥٣] قانون التأويل، ص ٤٢٠ – ٤٢٢، مع القاضي ابن العربي، ص ١٩١–١٩٣ باختصار

[٥٤] قانون التأويل، ص ٤٣٢–٤٣٣، مع القاضي ابن العربي، ص ٢٠٢–٢٠٣ باختصار

[٥٥] البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة : ميساء سليمان إبراهيم، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١١م، ص١٤

عليه، والسرد هو الرسالة أو اللغة أو الطبيعة اللفظية التي من خلالها تنتقل هذه الرسالة"[٥٦].

وهذا يعني أن السرد الأدبي "له مقومات منها:

- أن يحتوي على قصة ما تحوي أحداثاً معينة.
- أن يكون هناك آلية معينة تنقل بها هذه القصة، وهي السرد، وبما أن السرد آلية تنقل بها القصة، فيجب أن يكون هناك: سارد، ومسرود، ومسرود له"[٥٧].

ولما كان نص السيرة الذاتية يحكي ماضياً بسرد متواصل فإن " السيرة الذاتية ليست إلا شكلاً من أشكال السرد، وككل أشكال السرد، للسيرة الذاتية مؤلف يكتبها، وسارد يسردها، قارئ فضولي يقرؤها"[٥٨].

وداخل النص السير ذاتي تتشكل هوية الأنا السردية – أبعادها وجوانبها–، فيتحول النص السير ذاتي إلى سرد لقصة الحياة، **وهي محطة فصل لحظتين:** إحداهما تحيل على لحظة الكتابة السردية، وثانيهما تحيل على ماضي الكاتب نفسه، فتغدو هذه اللحظة وصلاً بين زمنين: زمن مضى وانقضى، وزمن حاضر يمثل لحظة الكتابة، ومنطلق البداية في رحلة سرد تاريخ (الأنا) وتحولاته المتنوعة[٥٩].

ورحلة ابن العربي المتضمنة سيرته العلمية تتكئ على مجموعة من التقنيات السردية، وهي:

- التطابق بين المؤلف والسارد
- السرد الاسترجاعي
- الحوار
- الوصف

• أولاً– التطابق بين المؤلف والسارد

ينهض السرد في رحلة ابن العربي المتضمنة سيرته العلمية على التطابق التام الكامل بين السارد (ابن العربي) والشخصية المركزية التي هي شخصية (ابن العربي) نفسه، وهذا التطابق هو أحد معايير السيرة الذاتية التي تقتضي التطابق بين المؤلف والسارد، كما قال فيليب لوجون: " لكي تكون هناك سيرة ذاتية يجب أن يكون هناك تطابق بين المؤلف والسارد "[٦٠].

وقد اعتمدت السيرة الذاتية في رحلة ابن العربي على الخطاب السردي اعتماداً كبيراً،

---

[٥٦] التخييل القصصي – الشعرية المعاصرة: شلوميت ريمون كنعان، ترجمة. حسن حمامة، دار الثقافة، الدار البيضاء، الأولى، ١٩٩٥م، ص١١.

[٥٧] بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي: حميد المحمداني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الأولى، ١٩٩١م، ص٤٥.

[٥٨] عندما تتكلم الذات " السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث" : محمد الباردي، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، الرابعة، ٢٠٠٥م، ص٥٨

[٥٩] يُنظر. أدبية السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث " بحث في آليات اشتغال النصوص ومرجعياتها الفاعلة ": ناصر بركة، دكتوراه، جامعة لخضر – بانتة – الجزائر، ٢٠١٣م، ص٧٠

[٦٠] السيرة الذاتية: فيليب لوجون، ص٤٠

وفيها تحول الكاتب إلى راوٍ يسعى وراء الأحداث والوقائع التي مرَّ بها في مسيرته العلمية ورحلته إلى المشرق طلباً للعلم بصحبة والده صاحب الفضل الكبير في صقل شخصيته العلمية وتهيئة الظروف المناسبة لذلك، كما سعى ابن العربي إلى الكشف عن انطباعاته النفسية المتولدة عن تلك الأحداث والوقائع والمشاهدات التي مرَّ بها.

ولمَّا كان الراوي في سيرة (ابن العربي) هو المؤلف نفسه (ابن العربي)، فقد استعمل ضمير المتكلم (أنا) الذي يحيل على المؤلف الذي يعلن نفسه راوياً لسيرته منذ بدايتها إلى نهايتها، فقال: " كان من حسن قضاء الله أني كنت في عنفوان الشباب وريان الحداثة، وعند ريعان النشأة، رتب لي أبي – رحمه الله – معلماً لكتاب الله، حتى حذقت القرآن في العام التاسع، ثم قَرَنَ بي ثلاثةً من المعلمين... فلم يأت على ابتداء الأشد في العام السادس عشر من العدد، إلا وأنا قد قرأت من أحرف القرآن نحواً من عشرة، بما يتبعها...وقد جمعت من العربية فنوناً، وتصرفت فيها تمريناً... وقرأت في اللغة...وسمعت جملة من الحديث على المشيخة...وقرأت علم الحسبان... يتعاقب عليَّ هؤلاء المعلمون من صلاة الصبح إلى أذان العصر، ثم ينصرفون عَنِّي، وآخذ في الراحَةِ إلى صبح اليوم الثاني، فلا تتركني نفسي فارغاً من مطالعة، أو مذاكرة، أو تعليق فائدة..."[٦١].

" ومعلوم أن الحكي بضمير المتكلم المفرد يشكل الظاهرة الأسلوبية الأكثر تواتراً في السيرة الذاتية؛ وذلك لأنه يحيل على الذات مباشرة، ويقلل المسافة بين السارد والشخصية المركزية بحكم أنه من يعيش الحدث ويرويه، ويسمح للسارد أن يتحدث باسمه أكثر مما يسمح للمحكي بضمير الغائب؛ وذلك بسبب التماهي بين السارد والبطل"[٦٢]، وأورد عبد الملك مرتاض جملة من خصائص ضمير المتكلم المفرد يراها الباحثون ملائمة لطبيعة النص السير ذاتي منها:

١- إن هذا الضمير يجعل الحكاية المسرودة مندمجة في روح المؤلف، فيذوب ذلك الحاجز الزمني الموجود بين زمن السرد وزمن السارد ظاهرياً على الأقل، وذلك لدى استعمال ضمير الغائب، فيصبح الزمن السردي وحيداً مندمجاً بحكم أن المؤلف يغيب في الشخصية التي تسرد عليه.

٢- إن هذا الضمير يجعل المتلقي أكثر التصاقاً وتعلقاً بالعمل السردي، موهماً إياه أن المؤلف هو إحدى الشخصيات التي ينهض عليها النص الحكائي فعلاً.

٣- إن هذا الضمير يحيل على الذات، بينما ضمير الغياب يحيل على الموضوع، و (الأنا) مرجعية جوانية ، على حين أن

[٦١] ينظر. قانون التأويل، ص٤١٥-٤١٩، مع القاضي ابن العربي، ص١٨٦-١٩٠ باختصار

[٦٢] السيرة الذاتية في الأندلس دراسة في البنية والرؤية: فاطمة عبد السلام الرواشدة، دكتوراه، إشراف. أد. صلاح جرار، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥م، ص٢٠.

(الهو) مرجعية برانية، ولا سواء ضمير يسرد ذاته، وضمير آخر يحكي سواه...

٤- إن ضمير المتكلم يتحكم في مجاهل النفس وغيابات الروح على عكس ضمير الغائب، وهو ضمير السرد المُناجاتي، إذ يستطيع التوغل إلى أعماق النفس البشرية، فيُعَرّيها بصدق، ويكشف عن نواياها بحق، ويقدمها إلى القارئ كما هي لا كما يجب أن تكون"[٦٣].

ويضاف إلى ما سبق: إن هذا النوع من الكتابة التي تتوسل بضمير (الأنا) تلغي الوسائط بين القارئ " وما ينقل إليه من أحداث وأقوال ومشاهد، وهو ما يُمَتِّن العلاقة بين الشخصية والقارئ باعتبار أن السرد في صيغة المتكلم المفرد (أنا) وسيلة لتخيل صوت الكاتب، تدعم احتمال وقوع الحكاية المسرودة "[٦٤].

وفي سيرة ابن العربي كان ضمير المتكلم بمثابة جسر استطاع صاحب السيرة أن يَعْبُرَ به إلى الماضي؛ لاستحضاره بكل أشكاله وصوره متخذاً من الذاكرة سبيلاً لنقل التجربة، لاسيما بعد أن ضاعت كتبه التي سجل فيها رحلته المتضمنة سيرته، فقال: " فلما شذّ في معرض المقادير، واستلبته الحوادث بما سَبَقَ في علم الله من التدبير، رأينا أنْ نُجَدِّدَ مَا سَلِمَ في الرقاع الموجودة، مع ما حضر في الذكر، ليكون عنواناً لما جرى، وتنبيهاً على فضل من تَأَوَّبَ، وَسِرّاً وحجّة لمن قال: قد تعدَّى من تمنّى أن يكون مثل من تَعَنَّى"[٦٥]، فضلاً عن أن هذا الضمير ذو جمالية خاصة، فهو " **ضمير السرد القائم على النجوى والحديث مع النفس** الذي يستطيع التوغل إلى أعماق النفس البشرية، فيعريها بصدق، ويكشف عن نواياها بحق، ويقدمها للقارئ كما هي، وكما يجب أن تكون، كما أنه علامة مائزة للكتابة التي تتعامل مع الحميمية الذاتية، وهو ضمير قادر على تمثيل الأبعاد المختلفة التي مرَّ بها صاحب السيرة، ومن ثم الإلمام بجوانب شخصيته كافة بجدارة"[٦٦].

---

[٦٣] في نظرية الرواية " بحث في تقنيات السرد": عبد الملك مرتاض، عالم المعرفة، ١٩٩٨م، ص١٨٤-١٨٥ بتصرف.

[٦٤] بعض ملامح الأنا الراوية والمروية في الخطاب الروائي المعاصر" إدوارد الخراط نموذجا": محمد الخَيْوّ، مجلة فصول، العدد الرابع، المجلد السادس عشر، ربيع ١٩٩٨م، ص٢١٢.

[٦٥] قانون التأويل، ص٤١٤، مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص١٨٥

[٦٦] الرحلة السفارية الداخلية في الأندلس في القرن الخامس الهجري وجه من وجوه السيرة الذاتية " قراءة في رحلة طي المراحل للوزير الكاتب أبي عبد الله محمد بن مسلم: فايز القيسي، كتاب المؤتمر الدولي الثاني" مقاربات منهجية في النصوص العربية والإسلامية "، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م، مجلد الدراسات الأدبية والنقدية، ص٢٩١-٢٩٢.

وعلى الرغم من أن ابن العربي اتخذ ضمير المتكلم المفرد (أنا) صوتاً سردياً يجسد همومه وآلامه وآماله وذكرياته وأحلامه وتطلعاته، **فإنه لجأ كثيراً إلى استعمال ضمير المتكلم الجمعي (نحن)**؛ ليشمل رفاقه في رحلته، فيسرد الحكاية بضمير الجمع (نحن)، ثم يعود إلى الضمير (أنا)، وينتقل ببراعة من (أنا) إلى (نحن)، ومن ذلك قوله: " فدعت الضرورة إلى الرحلة، فخرجنا والأعداء يشمتون بنا، وآيات القرآن تَنْزِعُ لنا، وفي علم الباري جلت قدرته أنه ما مر عَلَيّ يوم من الدهر كان أعجبَ عندي من يوم خروجي من بلدي، ذاهباً إلى رب "[٦٧]، وقوله: " فخرجنا مُكْرَمِينَ، أو قل مكرهين، آمنين وإن شئت خائفين، وفررت منكم لما خفتكم، فوْهب لي ربي حكماً وجعلني من العالمين. وكتبني في أتباع من قال: {إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ}[٦٨] "[٦٩]. وهذا يعني أن ابن العربي **لجأ إلى تقنية التنويع في الضمائر**؛ لتجنب سيطرة (الأنا) على سرد سيرته من جهة، فضلاً عن الإفلات من الرتابة ودفع الملل والسأم عن المتلقي.

ويضاف إلى ما سبق: إن التطابق المفترض حدوثه بين صوت السارد وصوت الشخصية المركزية أو بين الذات الساردة المتلفظة والذات الموضوع لا يخلو من إشكال، وهو أنه ليس هناك تطابق تام بين السارد والشخصية الرئيسية في النص السير ذاتي، " **والإشكالية التي تطرحها السيرة الذاتية تتمثل في المفارقة الزمنية الواسعة بين زمن الكتابة وزمن التجربة**، وهذه المفارقة تنتج أساساً توسيعاً للهوة التي تفصل بين الشخصية وهي تعيش الحدث، وموقع السارد وهو يتذكر ويروي هذه الأحداث التي عاشها باعتباره شخصية موضوعاً، وهذا الوضع الناتج عن المفارقة بين زمن الكتابة وزمن السرد لا يكون إلا لسارد السيرة الذاتية أو الروايات الشخصية التي تستعير من السيرة الذاتية أسلوبها"[٧٠]، ونلحظ ذلك في السيرة الذاتية لابن العربي، فابن العربي الطفل الصغير الذي حدَّثنا عن طفولته ونشأته العلمية، وابن العربي المتحدِّث شخصان مختلفان زمنياً، فالأول طفل ريان الحداثة ريعان النشأة دون التاسعة[٧١]، والثاني شاب تعلم وصار عالماً فقيهاً ذا موقف سياسي وعطاء علمي، ولكن الصيغة النحوية توهم بتطابقهما، فالضمير النحوي يجمع الشخص المتكلِّم والمتكلَّم عنه في الخطاب.

---

[٦٧] قانون التأويل، ص٤٢٠، مع القاضي ابن العربي، ص ١٩١

[٦٨] سورة الصافات: ٩٩

[٦٩] قانون التأويل، ص٤٢٢، مع القاضي ابن العربي، ص ١٩٣

[٧٠] عندما تتكلم الذات " السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث ": محمد الباردي، ص١٣٠

[٧١] قال عن طفولته: " وكان من حسن قضاء الله أني كنت في عنفوان الشباب وريان الحداثة، وعند ريعان النشأة، رتب لي أبي – رحمه الله – معلماً لكتاب الله، حتى حذقت القرآن في العام التاسع..." قانون التأويل، ص٤١٥، مع القاضي ابن العربي، ص١٨٧.

ثانياً– السرد الاسترجاعي

يمثل الزمن تقنية سردية فنية مهمة تساهم في بناء هيكل الحدث، " فمن المتعذر أن نعثر على سرد خالٍ من الزمن، وإذا جاز لنا افتراضاً أن نفكر في زمن خالٍ من السرد، فلا يمكن أن نلغي الزمن من السرد، فالزمن هو الذي يوجد في السرد، وليس السرد هو الذي يوجد في الزمن"[٧٢].

وفي سيرة ابن العربي نلاحظ إبداع مسارات جديدة ومختلفة في حركة الزمن تجاوزت الترتيب المنطقي في تسلسل الأحداث إلى الترتيب اللامنطقي المبني على الاستذكار والاسترجاع، " والاسترجاع هو ما يتشكل من مقاطع تحيلنا إلى أحداث تخرج عن حاضر؛ لترتبط بفترة سابقة على بداية السرد، أي استرجاع حدث سابق عن الحدث الذي يُحكى، ورواية هذا الحدث في لحظة لاحقة لحدوثه"[٧٣]، (" فكل حدث ترويه حكاية، هو على مستوى قصصي أعلى من المستوى الذي يقع عليه الفعل السردي، المنتج لهذه الحكاية"[٧٤]، " فالسرد في حقيقته استذكار لحدث مرَّ سابقاً، تُستجمع أزمنته لينتظم، وينطلق في الفعل المنتج له، وتتجلى مظاهر السرد الاستذكاري في مدى الاستذكار أو المسافة الزمنية التي يطولها الاستذكار"[٧٥]...فالسرد الاستذكاري هو استرجاع لقصة تمت في زمن ما متباين عن الزمن الحاضر، وهذا ما يفسر الفرق بين زمن القصة ومن السرد، فالراوي الذي يقوم بسرد روايته وكأنها تذكر لما كان قد وقع سابقاً على نحو يخلق مسافة واضحة بين الحدث المروي وراويه من جهة، وبين ذلك الحدث ومتلقيه، لذا فالراوي إمعاناً منه في تحقيق غاياته، يعتمد على صيغة الماضي في سرد الأحداث، لكن الزمن يظل في ظاهره وكأنه فعل منفصل عن الكاتب، سابق عليه، مع أنه مجرد خدعة سردية"[٧٦]، تروم دفع المتلقي إلى زمن الحكاية)[٧٧].

وهذه الرحلة المشرقية التي ضمنها ابن العربي سيرته العليمة بدأت أحداثها عند خروج ابن العربي من الأندلس عقب دخول المرابطين إشبيلية سنة ٤٨٤هـ، وقد صرَّح بذلك فقال: " ثم حالت هذه الحالة الخاصة بالاستحالة العامة عند دخول المرابطين بلدنا سنة أربع وثمانين وأربعمئة، ووقع علينا من تلك الحوادث ما كان مدة أسفَّ فوقنا، وصاب بأرضنا شؤبوب فتنة...

---

[٧٢] بنية الشكل الروائي: حسن بحراوي ، المركز الثقافي العربي، بيروت، الأولى، ١٩٩٠م، ص١١٧.

[٧٣] الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا: إبراهيم جنداري، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، الأولى، ٢٠١٣م، ص١١٧.

[٧٤] خطاب الحكاية " بحث في المنهج": جيرار جنيت، ص٢٤٠

[٧٥] شعرية الخطاب السردي: محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م، ص١٠٩

[٧٦] في نظرية الرواية " بحث في تقنيات السرد ": عبد الملك مرتاض، ص١٧٨

[٧٧] البنية السردية في الإمتاع المؤانسة، ص٢٢٧–٢٢٨

فدعت الضرورة إلى الرحلة "[٧٨]، وقد استغرقت عشر سنوات تقريباً، عاد بعدها ابن العربي إلى موطنه، ثم شرع في سرد سيرته العلمية ورحلته المشرقية سنة ٥٣١هـ، أي بعد عودته بسبعة وثلاثين عاماً تقريباً

ولقد استدعى الراوي (ابن العربي) أحداث رحلته وسرد سيرته من ذاكرته؛ لتكون حاضرة في ذهن المتلقي، ومن ذلك قوله: " فكان أول بلدة دخلت مَالَقَة، فألفيت بها أمةً رأسهم الشعْبِي أشهر ما عنده نسبهُ...ثم طفرت من أغَرْنَاطَة إلى المَرِيَّة ، فرأيت بها رجالات في المسائل والقراءات ... في أيام قلائل لبثت بها لَمْ أخْبُر بها حالَهُم... وركبت البحر محفوزاً، فَأرْفَأنَا إلى بِجَايَة، فرأيت فيها جماعةً من أهل المسائل، ولقيت بها محمد بن عمار الميورقي رأساً فيهم، مشاركاً في مَعَارِفَ حَدِيثٍ وَمَسَائِلَ وَأدَبٍ... ولقيت خاصة دولتها، ورأيت رأس وزعتها: القاسم بن عبد الرحمن"[٧٩].

وفي النص السابق نلاحظ في سرد الرواي **طغيان الفعل الماضي على سرد الأحداث،** مع حفاظ الراوي على مسافة واضحة تفصله عن تلك الأحداث، فهو يروى أحداثاً وقعت في الزمن السابق على حكايته مرَّ عليها أربعون سنة تقريباً، ولكنها أعيدت في سياق ما يروي، وهذا يعني أن الراوي يعيد خلق تلك الأحداث التي تمتلك زمنها الخاص في حكايته، ويسردها من خلال استرجاع واستذكار يشبه سرداً تركيبياً للأحداث المتضمنة.

وفي السرد الاسترجاعي لسيرة ابن العربي **يقتحم الحوار البنية السردية في مواضع متفرقة من الرحلة، وهذا الحوار يقيم توازناً نوعياً بين زمن القصة وزمن الحكاية،** بمعنى أن المدة السردية تكون مطابقة للزمنية، وهي " نقطة الصفر التي يلتقي فيها التتابع الحكائي والسردي"[٨٠].

ومن المقرر أن السرد الاسترجاعي يسير في اتجاهين: الأول. منهج التداعي الحر أو الاسترجاع العفوي للذكريات، والثاني. تيار الوعي، وفي سيرة ابن العربي لم يكن سرد الراوي عفوياً، بل كان واعياً في استذكاره واسترجاعه لذكريات رحلته وسيرته العلمية التي كان بعضها مدوناً كما صرَّح بذلك قبل الشروع في تسجيلها، فقال:" إنَّ الله سبحانه –له الحمد وله الشكر، وبيده الخير والشر، ومنه النفع والضر –يَسَّرَ لي طلب العلم على الوجه الذي كنا رتَّبنا بيانه في كتاب ترتيب الرحلة للترغيب في الملة، فلما شذّ في معرض المقادير، واستلبته الحوادث بما سَبَقَ في علم الله من التدبير، رأينا أنْ نُجَدِّدَ مَا سَلِمَ في الرقاع الموجودة، مع ما حضر في الذكر، ليكون عنواناً لما جرى، وتنبيهاً على فضل من

---

[٧٨] قانون التأويل ، ص٤١٩، مع القاضي ابن العربي، ص١٩١

[٧٩] قانون التأويل ، ص٤٢٣-٤٢٦، مع القاضي ابن العربي، ص١٩٣-١٩٥ باختصار

[٨٠] تحليل الخطاب " الزمن، السرد، التبئير ": سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، الثانية، ١٩٩٣م، ص٧٨.

تَأَوَّبَ، وَسِرّاً وحجّة لمن قال: قد تعدى من تمنّى أن يكون مثل من تعنى"[٨١].

ثالثاً– الحوار

الحوار هو " تناقش مجموعة من الشخصيات داخل إطار زماني معين، ويكون هذا الحوار خارجاً على ألسنة الشخصيات دون انقطاع، ويكون الموضوع الرئيس في الحوار قابلاً للتبديل والتغيير"[٨٢]، ويعد "الحوار إحدى تقنيات السرد، فهو يقف بجوار الوصف الذي يعمل على إيقاف حركة السرد وإبطائه"، والخطاب السردي الرحلي يتميز " بتوظيف هذه التقنية الفنية بشكل عام، وفي هذا البعد تقترب الرحلة من السيرة الذاتية كثيراً، ويغدو الحوار تقنية فنية مهمة مشتركة بين هذين الفنين السرديين، فهما يتعاملان مع شخصيات وأحداث واقعية"[٨٣].

وقد جاء الخطاب السردي في رحلة ابن العربي المتضمنة سيرته الذاتية حافلاً بمشاهد حوارية متعددة؛ وذلك لأن ابن العربي اخترق فضاءات وأمكنة أندلسية: مالقة، غرناطة... وأخرى مشرقية: تونس، بونة، مصر، الشام، دمشق، بلاد الحجاز...ولقي في هذه الدول والإمارات عدداً كبيراً من الشخصيات السياسية والعلمية، فحاورها وأورد ما دار بين الشخصيات من حوارات متعددة الموضوعات.

وقد تضمنت المشاهد الحوارية دلالات مختلفة تشير إلى أن تقنية الحوار لها قدرة على الكشف عن البعد: الديني، والسياسي، والاجتماعي، والثقافي للشخصيات المتحاورة.

والمشاهد الحوارية في رحلة ابن العربي المتضمنة سرداً لسيرته العلمية تهدف إلى[٨٤]:

أولاً– التقليل من رتابة السرد: فتبادل الأفكار والحديث وتناوبه بين الشخصيات يحدُّ من الملل والرتابة لدى المتلقي.

ثانياً– الإيهام بواقعية الحدث: فالصيغ الحوارية تقدم إحساساً لدى المتلقي أن ما يقرؤه واقعي، مقتبس من الواقع الذي يعيش فيه، وابن العربي في رحلته وعرض سيرته يسعى إلى إقناع المتلقي بصدق الحوار وكلام الشخصيات ووقوعه فعلاً، وأنه ليس بالغرائبي المتخيل، وهذا أبرز ما يميز الرحلة ويجعلها سيرة ذاتية.

ثالثاً– الوظيفة الوصفية: فأشكال الحوار يغلب عليها الوصف والتحليل، حيث تلجأ الشخصية إلى السؤال عن حال معينة أو مسألة معينة، ليتجلى من الحوار نظرة الشخصية إلى الناس، وموقفها من بعض القضايا والمسائل، وربما تضمن السؤال المتضمن في الحوار ما يفضي إلى استمرار السرد، ومن أمثلة ذلك: الحوار بين

---

[٨١] قانون التأويل ،ص٤١٤ ، مع القاضي ابن العربي،ص١٨٥

[٨٢] في السرد " دراسة تطبيقية "، دار محمد على الحامي، تونس، ١٩٩٨م، ص٦٥

[٨٣] الرحلة السفارية في الأندلس: فايز القيسي، ص٢٩٣

[٨٤] ينظر هذه الوظائف في: السرد في مقامات السرقسطي: نور مرعي الهدروسي، منشورات عالم الكتب الحديث، إربد– عمان، الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، ص٧٣–٧٥

ابن العربي وأمير بني كعب في برقة، قال ابن العربي : " وانتهينا بعد خطب طويل إلى بيوت بني كَعْب مِنْ سُلَيْم ، ونحن من السغب على عطب، ومن العُرْيِ في أقبح زي، قد قذف البحر زقاق زيت مزقت الحجارة هيئَتها، ودسمت الأدهان وبرها وَجِلدتها، فاحتزمناها أُزُراً، واشتملناها لَفَفاً، تمجنا الأبصار، وتخذِلُنَا الأنصار، فعطف أميرهم علينا لعرق كان فيه من الحَضَرِ، وَخَفَرَنَا بحرمة أورثتها عنده سجية مصرية، إذ كان نشأ في ديار الإسكندرية، وَدَرَّت عليه هناك الدرَةُ الدينية، فآوينا إليه فآوانا، وأطعمنا الله على يديه وسقانا، وأكرم مثوانا وكسانا، بأمر حقير طفيف، وفن من العلم طريف، وشرحه:

إنا لما وقفنا على بابه، ألفيناه وهو يدير بأعواد الشاه[٨٥]، فعل السامد اللاه. فدنوت منه في تلك الأطمار، وسمح لي بيادقته، إذ كنت من الصغر في حد يسمح فيه للأغمار، ووقف بإزائهم، أنظر إلى تصرفهم من ورائهم، إذ كان علق بنفسي بعض ذلك من بعض القرابة في مجلس البطالة، مع غَلَبَةِ الصَّبْوَة والجهالة. فقلت للبيادقة: الأمير أعلم من صاحبه، فلمحوني شزراً، وَعَظُمْتُ في عيونهم بعد أن كنت نزراً، وتقدم إلى الأمير من نقل إليه الكلام، فاستدناني، فدنوت منه، فسألني: هل لي بما هم فيه بصر؟.

فقلت: لي فيه بعض نظر سيبدو لك ويظهر: حرك تيك القطعة، ففعل، وعارضه صاحبه، فأمرته أن يحرك أخرى، وما زالت الحركات بينهم كذلك تترى حتى هزمه الأمير، وانقطع التدبير، فقالوا: ما أنت بصغير، وكان في أثناء تلك الحركات قد تَرَنَّمَ ابن عم الأمير منشداً: (الطويل)

وَأَحْلَى الهَوَى مَا شَكَّ في الوَصْلِ رَبُّهُ

وَفِي الهَجْرِ فَهْوَ الدهْرُ يَرْجُو وَيَتقِي[٨٦]

فقال: لعن الله أبا الطيب، أو يشك الرب؟.

فقلت له في الحال: ليس كما ظن صاحبك أيها الأمير، إنما أرَادَ بالرب ها هنا الصاحب، تقول: ألذُّ الهوى ما كان العاشق فيه من الوصال وبلوغ الآمال على رَيْب، فهو في وقته كله، بين رجاء لما يؤَمِّلُه، وتقاة لما يقطع به، كما قال: (الطويل)

إذا لم يكن في الحب سخط وَلَا رِضَى

فَأَيْنَ حَلَاوَاتُ الرسَائِلِ والكُتْب[٨٧]

وأخذنا نضيف إلى ذلك من الأغراض، في طرفي الإبرام والانتقاض، ما حرك فيهم إلى مبرتي داعي الانتهاض، وأقبلوا يتعجبون مني، ويسألون كم سني، ويستكشفونني عني، فبقرت لهم حديثي، وذكرت لهم نجيثي، وأعلمت الأمير

---

[٨٥] ما يسمى "بالشطْرَنج"

[٨٦] ديوان أبي الطيب المتنبي ت ٣٥٤هـ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٨٣م، ص٣٤٥

[٨٧] ديوان العباس بن الأحنف ت ١٩٢هـ، شرح وتحقيق. عاتكة الخزرجي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م، ص٦٣، ويُنسب البيت لعلية بنت المهدي ت ٢١٠هـ في: نهاية الأرب في فنون الأدب : شهاب الدين النويري ت ٧٣٣هـ، ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الأولى، ١٤٢٣ هـ، ج٤ص٢١٥

بأن أبي معي، فاستدعاه، وقمنا الثلاثة إلى مأواه، فخلع علينا خِلَعَهُ، وأسْبَلَ أدمُعَهُ، وجاء كل خِوَانٍ بأفنان الألوان"[٨٨].

الحوار في النص الحكائي السابق بدأ باستفسارات وأسئلة ثم أفضى إلى أجوبة، فأخذ شكل مناظرة بلغة حجاجية برهانية، فجمع بين التحقيق والمناظرة، فضلاً عن أنه يكشف عن بعض عادات الملوك وعن المستوى الثقافي والمعرفي لدى المتحاورين.

وعلى الرغم من أن المشاهد الحوارية التي سردها ابن العربي في سيرته تتيح للمتلقي الفرصة حتى يستمع إلى صوت ابن العربي ومن حاورهم، **فإن ابن العربي نوَّع أساليب الحوار**، حيث أتى به أحياناً مسروداً ضمن حكاية يسردها، فيكون الحوار بهذه الطريقة منقولاً على لسان الراوي بوصفه مراقباً، ومن أمثلة ذلك الحوار قوله: " ثم دخل علينا مدرسة أبي عقبة الحنفية ببيت المقدس بعد ذلك بمدة الصاغاني في جبة راع، وسلم واخترق الحلقة إلى أن قعد بإزاء الشيخ وعليه سيماء الثروة وأسمال الرغبة، ففطن الشيخ –وهو القاضي الريحاني– له فقال: لعل الشيخ من أهل هذه الرفقة المسلوبة بالأمس.

فقال له الصاغاني: نعم.

فاسترجع له ودعا بالخير، ثم قال له: وهو من أهل العلم والله أعلم؟.

فقال: ما أنا إلاَّ قرأت شيئاً يسيراً.

فقال القاضي للأصحاب مبادراً: سلوه؟

فسألوه عن هذه المسألة فقال: إذا الجاني لجأ إلى الحرم لا يقتل.

ففرح القاضي وقال: وكأن الشيخ حنفي!

قال له: نعم.

فسئل عن الدليل: فاستدل بقوله سبحانه: {وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ}[٨٩]. ثم قال: قُرِىء: {وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ} و {لا تَقْتُلُوهم}[٩٠]، فإن قلنا بقراءة من قرأ {ولا تَقْتُلُوهُمْ} فهو نَص في مسألتنا، وإذا قلنا: بقراءة من قرأ: {وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ} كان تنبيهاً، لأنه إذا نهى عن القتال –وهو سبب القتل– فالنهي عن المسبّب الذي هو القتل أولى.

قال له القاضي الريحاني: هذه الآية منسوخة بقوله: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ}[٩١].

قال له الصَّاغاني: القاضي أجل قدراً من أن يتكلم بهذا، وكيف ينسخ الخاص العام؟ وإنما ينسخ القولُ القولَ إذا عارضه.

فبهت القاضي، وهذا ما لا جواب عنه لأحد"[٩٢].

---

[٨٨] قانون التأويل ،ص٤٢٨ – ٤٣٠ ، مع القاضي ابن العربي،ص١٩٨–٢٠٠

[٨٩] سورة البقرة: ١٩١

[٩٠] هذه قراءة حمزة والكسائي، وقرأ الباقون بالألف، انظر: ابن مجاهد: كتاب السبعة في القراءات: ١٧٩ – ١٨٠، ابن زنجلة: حجة القراءات: ١٢٧، ابن خَالَويه: الحجة في القراءات: ٩٤، ابن الباذش: الإقناع في القراءات السبع: ٢/ ٦٠٧

[٩١] سورة التوبة: ٥

[٩٢] قانون التأويل ،ص٤٤٠ – ٤٤١ ، مع القاضي ابن العربي، ص٢١١–٢١٢

رابعاً– الوصف

"الوصف هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات"[٩٣]، "فهو يعكس الصورة الخارجية لحال من الأحوال أو لهيئة من الهيئات، فيحولها من صورتها المادية في العالم الخارجي إلى صورة أدبية، قوامها النسيج اللغوي، وجمالها التشكيل الأسلوبي"[٩٤]، ويعد الوصف من أهم مقومات العمل السردي، فهو يضطلع بدور مهم في بناء النص السردي، فلا يمكن للسرد أن يتقدم دون الوصف، مع أن الوصف يمكن أن يمضي أحياناً دون سرد، أي دون تنامٍ للحدث.

وللوصف مكانة وقيمة كبيرة في الخطاب الرحلي السردي؛ وذلك لأن الخطاب الرحلي –في الأصل– وصف لمشاهد متنوعة: أشخاص، أماكن، أشياء...والغرض من الوصف في الخطاب الرحلي أن يكون وسيلة أو آداة لوصف الأشخاص والأماكن والأشياء في إطار تفاعلي؛ للكشف عن أبعادها الخفية، مما يعطي الرحلة بُعدها السردي.

وسيرة ابن العربي العلمية حافلة بمشاهد الوصف، فما حلَّ بلدة إلا وصفها ووصف علماءها، ومن ذلك قوله في وصف مصر وعلمائها: " وسرنا حتى انتهينا إلى ديار مصر، فألفينا بها جماعةً من المُحَدثِينَ والفقهاء والمتكلمين، والسلطان عليهم جَرِي[٩٥]، وهم من الخمول في سرب خفي، ومن هِجْران الخلق بحيث لا يرشد إليهم جَرِيء، لا ينسبون إلى العلم ببنت شفة، ولا يَنْتَسِبُ أَحَدٌ منهم في فن إلى المعرفة، بَلْهَ الأدب، فنظرنا فيه مع قوم، منهم أبو عبد الله محمد بن قاسم العثماني، والسالمي ، وشعيب العَبْدَرِي وآخرون سواهم ذكرناهم في موضعهم وسميناهم"[٩٦].

وقال يصف مقامه بأرض الشام: " وكان من صنع الله الجميل بي توفيقُه لي الإقامة بأرض الشام، في بقعة مباركة وبين علماء حتى صار ذلك دَرَجاً للقاء المحققين الذين ينتقدون ما جهلت، ويفسرون ما أجملت، ويوضحون ما أبهمت، ويُكَملون ما نقصت، وصار ما حصل عندي من تلك المقدمات، استعداداً لقبول الحقائق فيها، وتقييد الشارد من معانيها، وصار ذلك كمن يدخل المعدن فيجمع النُّضَارَ بِرَغَامِهِ، ويحمله إلى دار السبك لتخليصه"[٩٧].

وقال يصف بعض مَن لقيهم من العلماء: " وركبت البحر محفوزاً، فَأَرْفَأنَا إِلى بِجَايَة[٩٨]،

---

[٩٣] العمدة في محاسن الشعر وآدابه: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، ج٢ص٢٩٤

[٩٤] في نظرية الرواية: عبد الملك مرتاض، ص٢٥٨

[٩٥] الجَرِيُّ هو الوكيل، والسلطان الذي يعنيه ابن العربي هو معد بن الظاهر بن الحاكم بأمر الله، خامس خلفاء مصر من بني عبيد (٤٢٠ – ٤٨٧هـ) انظر. النجوم الزاهرة : ابن تغري، ج٥ ص ١٤٠.

[٩٦] قانون التأويل، ص٤٣٢، مع القاضي ابن العربي، ص٢٠٢

[٩٧] قانون التأويل، ص٤٥١، مع القاضي ابن العربي، ص٢٢٠

[٩٨] مدينة على ساحل البحر بالقطر الجزائري، أول من اختطها الناصر بن زيري بن مناد في حدود سنة

فرأيت فيها جماعةً من أهل المسائل، ولقيت بها محمد بن عمار الميورقي رأساً فيهم، مشاركاً في مَعَارِفَ حَدِيثٍ وَمَسَائِلَ وَأَدَبٍ، وربما كانت عنده في الأصول إشارة لا تُومِىءُ إلى المراد، منسوجة على منوال الباجي ونظرائه. ولقيت خاصة دولتها، ورأيت رأس وزعتها[٩٩]: القاسم بن عبد الرحمن، رواء ورويّة، وإتقان في الأدب، وقوة على الصناعة الكتابية، جمالُ قطره، أو قل جلال عصره، قَصَدَنَا إلى منزلنا وهو على محل من الدولة عظيم، وفي رؤسائها مقدم زعيم، في حجرة بخان السلطان كنا تبوأناها، ولم ير عليه في ذلك غَضَاضَةً، كما يفعله من كان في المعلومات قُرَاضَة[١٠٠] "[١٠١].

ولقي ابنُ العربي في رحلته الإمامَ الغزالي، فوصفه قائلاً: " حتى ورد علينا دَانِشْمَنْد[١٠٢]، فنزل برباط أبي سعد بإزاء المدرسة النظامية معرضاً عن الدنيا، مقبلاً على الله تعالى، فمشينا إليه وعرضنا أمنيتنا عليه، وقلت له: أنت ضالتنا الذي كنا ننشد، وإمامنا الذي به نسترشد، فلقينا لقاء المعرفة، وشاهدنا منه ما كان فوق الصفة، وتحققنا أن الذي نقل إلينا من أن الخبر عن الغائب فوق المشاهدة ليس على العموم ... فإنه كان رجلاً إذا عاينته رأيت جمالاً ظاهراً، وإذا عالمته وجدت بحراً زاخراً، وكلما اختبرت احتبرت. فقصدت رباطه، ولزمت بساطه، واغتنمت خلولته ونشاطه، وكأنما فَرَغَ لي لأبلُغَ منه أملي، وأباح لي مكانه، فكنت ألقاه في الصباح والمساء والظهيرة والعشاء، كان في بَزَتِّهِ أو بَذْلَته، وأنا مستقل في السؤال، عالمٌ حيث تؤكل كتفُ الاستدلال، وألفيته حَفِيّاً بي في التعليم، وفياً بعهدة التكريم[١٠٣]"[١٠٤].

---

٤٥٧. وهي الآن عاصمة الولاية المسماة بنفس الاسم، انظر: الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول، ص ١٨٠، نُزهَة المشتاق للإدريسي، ص ١٦٠ ، معجم البلدان: ج١ص٣٣٩، الروض المعطار للحميري، ص ٨٠.

[٩٩] الوزعة جمع وازع وهو الموكل بالصفوف العسكرية يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر.

[١٠٠] القُراضة: فضالة ما يقرضه الفئر من خبز أو غيره، يعني المؤلف أنه ليس له في المعلومات إلا نصيب يسير

[١٠١] قانون التأويل، ص٤٢٣-٤٢٤، مع القاضي ابن العربي، ص١٩٣-١٩٤

[١٠٢] قال محمد السليماني محقق قانون التأويل: " معناه بالفارسية الحكيم أو الماهر على ما أخبرني الدكتور سيد حسين نصر مدير جامعة آريا مهر بطهران سابقاً، والمقصود بِدَانِشْمَنْد هو الإمام الغزالي رحمه الله" قانون التأويل، ص٤٥٠.

[١٠٣] قال الإمام الغزالي في رسالته المشهورة إلى الأمير يوسف بن تاشفين: ٣٢/ ب "مخطوط الرباط رقم ١٠٢٠": "والشيخ الإمام أبو بكر بن العربي قد أحرز من العلم في وقت تردده إليَّ، ما لم يحرزه غيره. مع طول الأمد، وذلك لما خص به من صفاء الذهن، وذكاء الحسّ، وانّقاد القريحة، وما يخرج من العراق إلاَّ وهو مستقل بنفسه، حائز قصب السبق بين أقرانه"

[١٠٤] قانون التأويل، ص٤٥٠-٤٥١، مع القاضي ابن العربي، ص٢١٩.

نلاحظ أن النصوص السابقة حوت سيلاً من الجمل السردية التي يمكن حصر وظائفها في بُعدين:

البعد الأول: بُعْدٌ **زمني** يتمثل في إبطاء وتيرة السرد، فورود الوصف في القصص والحكي يكون على حساب التتابع الزمني في سير الأحداث، " فهو أشبه بعملية استطراد واسعة، ينهد بها الخطاب السردي، ويتوسع على حسب الزمن الحقيقي للحدث السردي، فيتفوق زمن القص على زمن الحكاية، وعندها يكون التعطيل لوتيرة السرد، فيُخَصص الزمن الحكائي لخدمة النص المكتوب؛ وذلك لغايات البناء الفني"[١٠٥].

البعد الثاني: بُعْدٌ **لغوي** يحمل الوظيفة التفسيرية للوصف، حيث يلقي مزيداً من الضوء على: الأماكن والأشخاص والأشياء ويُجلي صفاتها البرانية والجوانية ، مما يتيح للمتلقي الوقوف على صفات الأشخاص والأماكن وخصائصها.

ولمّا كان الراوي يشكل موقعاً مهماً تنطلق منه وجهة نظر معينة إزاء ما يسرد أو يصف محدداً موقفاً أو رأياً أو حكماً مما يروي، فإن عملية القص التي يمارسها الراوي تمتلك فكراً معيناً يميل في مرجعيته إلى موقف الراوي، ومن هنا **يبرز(التبئير) من خلال الوصف** ، والتبئير هو " المنظور الذي من خلاله تعرض الوقائع والمواقف المسرودة في العمل الأدبي"[١٠٦]، " والوصف المبأر من قِبل الراوي يمنح خطاب الرحلة بعداً أدبياً يحوّل الوصف من تقريريته وموضوعيته إلى سردية أدبية تعبر عن وجهة نظر الراوي دون أن تنفي موضوعيته الحقيقية"[١٠٧]، فالتبئير إذن يصور الأماكن والأشخاص والأشياء من زاوية الراوي – السارد الراصد–.

وفي رحلة ابن العربي المتضمنة سيرته يظهر التبئير؛ ليعطي النص الرحلي السيري خاصية سردية تبرز ما فيها من وجهة نظر ابن العربي– الراوي المُبَئِر –، ويظهر التبئير بصورة واضحة في وصفه للشخصيات التي التقى بها ابن العربي وحاورها، فلم يكن مجرد واصف لهذه الشخصيات، بل استطاع من خلال الوصف تقديم وجهة نظره فيها، كما في الأمثلة السابقة، لاسيما في وصفه للإمام الغزالي.

الخاتمـــة

بعد العرض السابق لتقنيات السرد السير ذاتي في رحلة ابن العربي " ترتيب الرحلة للترغيب في الملة" يمكننا القول:

- إن رحلة ابن العربي توافر لها من الشروط ما جعلها أقرب إلى السيرة الذاتية في الأدب الحديث، ومن ذلك: البناء المحكم المتكامل المتسلسل القائم على التدرج والنمو والتطور، والتطابق بين السارد والمؤلّف صاحب المكانة العلمية الحافلة بالأحداث المثيرة

[١٠٥] بنية النص السردي: حميد لحمداني، ص٨٠

[١٠٦] المصطلح السردي، جيرالد برنس، ترجمة. عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣م، ص٨٧

[١٠٧] تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة: عبد العليم محمد إسماعيل علي، ٢٠١٨م، ص٢٣، www.sd.zain.com

والمتواصلة، فضلاً عن الميثاق السير ذاتي الذي يربط ابن العربي بقارئ سيرته.

- وسم ابن العربي سيرته بـ " ترتيب الرحلة للترغيب في الملة "، هذا العنوان الذي يحيط بها من جميع جوانبها، ودلالته موزعة على أهدافها ومقاصدها التي بمجرد الوقوف عليها وقراءتها تكشف مبرراً قوياً لاختيار هذا العنوان الذي يمثل اختصاراً لفكرة الرحلة وهدفها ومضمونها.
- إن قراءتنا للميثاق السير ذاتي الذي صدَّر به ابن العربي رحلته تبين أننا أمام سيرة ذاتية جزئية وليست كلية، حيث تضمن جانباً واحداً من جوانب حياته، وهو الجانب العلمي، وهذا يعني أنه كان يهدف إلى تدوين سيرته العلمية فقط.
- اعتمدت السيرة الذاتية في رحلة ابن العربي على الخطاب السردي اعتماداً كبيراً، ففيها تحوَّل الكاتب إلى راوٍ يسعى وراء الأحداث والوقائع التي مرَّ بها في مسيرته ورحلته العلمية معتمداً على ضمير المتكلم الذي يحيل على المؤلف الذي يعلن نفسه راوياً لسيرته منذ بدايتها إلى نهايتها، فضلاً عن أن هذا الضمير يمثل جسرًا يعبر به صاحب السيرة إلى الماضي؛ لاستحضاره بكل أشكاله وصوره متخذاً من الذاكرة وتقنية الاسترجاع سبيلاً لنقل التجربة؛ لتكون حاضرة في ذهن المتلقي، لاسيما بعد أن ضاعت كتبه التي سجل فيها رحلته وسيرته.
- اقتحم الحوار البنية السردية لسيرة ابن العربي؛ ليقيم توازناً نوعياً بين زمن القصة وزمن الحكاية، فضلاً عن وظيفته الوصفية، ودوره في الإيهام بواقعية الحدث، وتقليل رتابة السرد.

المصادر والمراجع

- الأعلام: خير الدين بن محمود الزركلي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م.
- أحكام القرآن: أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.
- أدبية السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث " بحث في آليات اشتغال النصوص ومرجعياتها الفاعلة ": ناصر بركة، دكتوراه، جامعة لخضر، بانتة ، الجزائر، ٢٠١٣م.
- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة، ١٣٥٨ هـ – ١٩٣٩ م.
- أنساق الميثاق الأوطوبيوغرافي " السيرة الذاتية بالمغرب نموذجاً ": حسين البحراوي، مجلة آفاق، المغرب، العدد ٣ – ٤، ١٩٨٤م
- البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة : ميساء سليمان إبراهيم، منشورات الهيئة العامة

السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١١م.
- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي: حميد المحمداني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الأولى، ١٩٩١م
- بنية الشكل الروائي: حسن بحراوي ، المركز الثقافي العربي، بيروت، الأولى، ١٩٩٠م.
- بعض ملامح الأنا الراوية والمروية في الخطاب الروائي المعاصر" إدوارد الخراط نموذجا":محمد الخَيْوّ، مجلة فصول، العدد الرابع، المجلد السادس عشر، ربيع ١٩٩٨م.
- بيوتات فاس الكبرى: إسماعيل ابن الأحمر ت ٨٠٧هـ، دار المنصور، الرباط – المغرب، ١٩٧٢م.
- التخييل القصصي – الشعرية المعاصرة: شلوميت ريمون كنعان، ترجمة. حسن حمامة، دار الثقافة، الدار البيضاء، الأولى، ١٩٩٥م.
- الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث: يحيى إبراهيم عبد الدايم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان
- تاج العروس من جواهر القاموس: أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق. مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تذكرة الحفاظ: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الأولى، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.
- تحليل الخطاب " الزمن، السرد، التبئير ": سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، الثانية، ١٩٩٣م.
- تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة: عبد العليم محمد إسماعيل علي، ٢٠١٨م، ص٢٣، www.sd.zain.com
- الجغرافية والرحلات عند العرب: نقولا زيادة ، دار الكتاب اللبناني، ودار الكتاب المصري، ١٩٨٧م.
- خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء المغرب والأندلس: عماد الدين الكاتب الأصبهاني٥٩٧هـ)، تحقيق: آذرتاش آذرنوش، نقحه وزاد عليه: محمد المرزوقي وآخرين، الدار التونسية للنشر،١٩٧١ م.
- خطاب الحكاية " بحث في المنهج ": جيرار جينت، ترجمة. محمد معتصم وآخرين، منشورات المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، الثانية، ١٩٩٧م
- ديوان العباس بن الأحنف ت ١٩٢هـ، شرح وتحقيق. عاتكة الخزرجي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٤م
- ديوان أبي الطيب المتنبي ت ٣٥٤هـ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م
- الذاتية في بعض أجناس النثر القديم: نور الدين بنخود، منشورات ندوة المتكلم في السرد العربي القديم، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة ميونة، تونس، ٢٠١١م
- الروض المعطار في خبر الأقطار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحِميرى (المتوفى: ٩٠٠هـ)، تحقيق. إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت ، الثانية، ١٩٨٠ م
- الرحلة السفارية الداخلية في الأندلس في القرن الخامس الهجري وجه من وجوه السيرة الذاتية " قراءة في رحلة طي المراحل للوزير الكاتب أبي عبد الله محمد بن مسلم: فايز القيسي، كتاب المؤتمر الدولي الثاني" مقاربات منهجية في النصوص العربية والإسلامية "، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية التربية،

جامعة عين شمس، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م، مجلد الدراسات الأدبية والنقدية.

- السرد في مقامات السرقسطي: نور مرعي الهدروسي، منشورات عالم الكتب الحديث، إربد- عمان، الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م
- السيميوطيقا والعنونة: جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد الثالث، المجلد ٢٥، ١٩٩٧م
- السيرة الذاتية في الأندلس دراسة في البنية والرؤية: فاطمة عبد السلام الرواشدة، دكتوراه، إشراف. أد. صلاح جرار، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥م.
- السيرة الذاتية في الأدب العربي " دراسة في السيرة الذاتية عند فدوى طوقان وجبرا إبراهيم وإحسان عباس ": تهاني عبد الفتاح شاكر علي، ماجستير، إشراف. إبراهيم السعافين، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ١٩٩٩م.
- السيرة الذاتية " الميثاق والتاريخ الأدبي": فيليب لوجون، ترجمة . عمر حلمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٤م.
- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- سيمياء العنوان: بسام موسى قطوس، وزارة الثقافة، عمان- الأردن، الأولى، ٢٠٠١م
- شعرية الخطاب السردي: محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م.
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس: أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (المتوفى: ٥٧٨ هـ) ، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، الثانية، ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م.
- طبقات الحفاظ: جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤٠٣هـ.
- طبقات المفسرين العشرين: جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق. علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة، الأولى، ١٣٩٦هـ.
- ظهر الإسلام : أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الخامسة، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م
- العلاقة بين العتبات النصية والمتن في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة دراسة نقدية: ملكة علي كاظم الحداد، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، العراق، العدد السابع، المجلد الرابع، ٢٠٠٩م
- العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي: محمد فكري الجزار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م
- عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة: أبو العباس الغِبْرِيني (المتوفى: ٧١٤هـ)، حققه وعلق عليه: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الثانية، ١٩٧٩ م
- عتبات (جيرار جينت من النص إلى المناص): عبد الحق بلعابد، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان- بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٨م.
- عندما تتكلم الذات " السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث" : محمد الباردي، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، الرابعة، ٢٠٠٥م.

- الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا: إبراهيم جنداري، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، الأولى، ٢٠١٣م.
- في نظرية الرواية " بحث في تقنيات السرد ": عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، العدد ٢٤، يناير ١٩٨٧م.
- في السرد " دراسة تطبيقية "، دار محمد على الحامي، تونس، ١٩٩٨م.
- قَانون التَّأوِيْل: أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: محمّد السّليماني، دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة، جَدّة، مؤسَسَة عُلوم القرآن، بيروت، الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر: أبو محمد الطيب بن عبد علي بامخرمة، الهِجراني (٨٧٠ - ٩٤٧ هـ)، عُني به: بو جمعة مكري وخالد زواري، دار المنهاج - جدة، الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م.
- المصطلح السردي، جيرالد برنس، ترجمة. عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣م
- مع القاضي ابن العربي: سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- المغرب في حلى المغرب: أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق. شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة، الثالثة، ١٩٥٥
- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: الحطاب الرُّعيني المالكي (المتوفى: ٩٥٤هـ): دار الفكر، الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، الثانية، ١٩٩٥ م
- معجم الأدباء" إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ": ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، تحقيق. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: يوسف بن تغري بردي (المتوفى: ٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: الشريف الإدريسي (المتوفى: ٥٦٠هـ)، عالم الكتب، بيروت، الأولى، ١٤٠٩ هـ
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت - لبنان، الأولى، ١٩٩٧م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين النويري ت ٧٣٣هـ، ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الأولى، ١٤٢٣ هـ
- هوية العلاقات في العتبات وبناء التأويل: شعيب حليفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الأولى، ٢٠٠٤م.
- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان (المتوفى: ٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الأولى،١٩٧١م.